المصطلح القرآني والتنمية الذاتية: قراءة في مفهوم التزكية نموذجا

إعداد

دة. جميلة زيان

أستاذة بجامعة سيدي محمد بن عبد الله – فاس

المغرب

المؤتمر العالمي الرابع للباحثين في القرآن الكريم وعلومه

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة:

من المؤكد أن مصطلحات "**التنمية** " و"**تنمية الشخصية**" وغيرها من المركبات المشتقة من مادة (ن.م.ي) تكتسي في الفكر الغربي والعربي المعاصر من الأهمية والذيوع حيزا واسعا، حتى إنه ليمكن القول إن " **التنمية البشرية**" و"**تنمية الذات**" هي موضة العصر، وفلسفة الحياة، بما تحمله من معارف وأفكار وقيم تصورية وعملية، تحمل كوامن فلسفة العولمة والليبرالية العالمية، المحضن الطبيعي لطائفة من المفاهيم والمصطلحات، التي راجت في ثقافة منظمات الإدارة والشركات الاقتصادية والإعلامية والمعلوماتية العملاقة؛ كالتقدم، والتحديث، والتطوير، والتدريب، والتميز، والقيادة، والمهارات، والتحفيز الذاتي...

ولقد كان لهذه الترسانة المصطلحية الغربية أثر نفسي كبير على الوجدان العربي والإسلامي، بوصفها تختزن الآمال العريضة التي يحلم بها الإنسان المسلم، في تحقيق النهضة المنشودة، وتجاوز واقع التخلف والتبعية، وضعف الإرادة والهمة، ولكنه يصطدم بابتعادها عن الثوابت والمرجعيات والأسس الأخلاقية، رغم انجذابها نحو الرؤية الإسلامية، من خلال إشاعة ثقافة إدارة الذات، والبرمجة الشخصية، والثقة بالنفس، وتنمية الحوافز الذاتية لإتقان الأداء، والتغيير نحو الأفضل؛ وهو الأمر الذي دفع كثيرا من الخبراء والمهتمين بالتنمية البشرية في العالم العربي والإسلامي، إلى الانخراط- ضمن المشاريع الإصلاحية المنهجية- في برنامج التأصيل المفاهيمي لمقولات ومصطلحات التنمية الغربية، في كل مستوياتها، باعتماد المفاهيم الروحية الصافية، المؤطرة من الوحي الإلهي، والدالة على الخصوصية الإسلامية، والكفيلة بتحصين الذات من الاستلاب والاستتباع، وإبراز تميزها وقدرتها على تفعيل فلسفتها التنموية الفريدة، والانتصار باقتدار في معركة الصراع الفكري والحضاري بين العالم المتقدم، والعالم النامي، أو الطامح للنمو...

في هذا السياق التأصيلي لمفاهيم التنمية الذاتية، ينضوي موضوع هذا البحث، الموسوم ب" **المصطلح القرآني والتنمية الذاتية، قراءة في مفهوم التزكية وقضاياه التنموية أنموذجا**"

ويقصد به الكشف عن مفهوم **المصطلح القرآني** ومفهوم **التنمية الذاتية** في المجال التداولي الغربي والإسلامي، بهدف إبراز تميز المصطلح القرآني وخصوصيته وقدرته الفائقة على الاستيعاب والدمج والتجاوز، وتأصيل المفهوم الغربي للتنمية الذاتية وتوسيعه انطلاقا من قراءة مفهوم "**التزكية**" وقضاياه التنموية، بوصفه يتقاطع معه في بعض دلالاته الصائبة.

إننا نطمح من خلال هذا البحث المتواضع إلى الانفتاح على معارف علم النفس وتنمية الشخصية، التي أثبتت فعاليتها في إحداث مستويات من التغيير الإيجابي المنشود، والتي بينها وبين التزكية القرآنية تقاربات، وذلك في سياق تفعيل التكامل التعارفي المفاهيمي مع الذات الحضارية الأخرى، كما تضمنه مفهوم التعارف القرآني.

وغاية ذلك كله تحريك همة المسلم نحو الآفاق الرحبة والمتعددة لتنمية شخصيته والنهوض بها، ولاسيما في المجال العقلي والروحي والنفسي والخلقي والاجتماعي؛ من أجل تجاوز واقع الانحطاط والهبوط، واستئناف مسار الارتقاء إلى الموقع العلي، موقع الخيرية والشهود والخاتمية.

مدخل تمهيدي

المصطلح القرآني والتنمية الذاتية: التحديد المفهومي

أولا: المصطلح القرآني: المفهوم والخصائص

1- مفهوم المصطلح القرآني

لم يعد خافيا على أي دارس مصطلحي أن مدار لفظ المصطلح في اللغة على السلم والصلح والتوافق[1] وأن مبناه في الاصطلاح على الاتفاق والتواضع بين مجموعة من الدارسين على نقل لفظ من الدلالة العامة (اللغة) إلى الدلالة الخاصة (الاصطلاح) في مجال علمي خاص، مع بقاء تلك الدلالة الأصلية فيه[2] ولم يعد خافيا أيضا على أي دارس للقرآن الكريم، وباحث عن تجديد مفاهيمه من مدخل مصطلحاته، حسب ما تطور إليها النظر في العقد الأخير من القرن الماضي، أن المقصود بالمصطلح القرآني: كل الألفاظ الواردة في نصوص القرآن الكريم، التي تتضمن مفهومات خاصة، تنطلق من دلالاتها اللغوية العامة، وتطرد في سياقاتها ومواقعها المتنوعة؛ لتكشف عن الرؤية القرآنية الكلية المتميزة، المؤسسة للدين، والمرتبطة بالألوهية، والإنسان، والكون، والحياة[3].

وبهذا التعريف يخرج كل لفظ لم يرد في القرآن الكريم، وإن تضمن دلالة قرآنية؛ مثل مصطلح "**التنمية**" الشائع في السياق التداولي الغربي، والذي يتضمنه مفهوم "**الإعمار**" القرآني

---

[1]- يراجع في ذلك: اللسان، وتاج العروس/ (ص.ل.ح).

[2]- وإلى هذا المعنى الإشارة في: التعريفات للجرجاني/62، وكشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي: 822/2.

[3]- أحسب أن هذا التعريف يكاد يلخص ما تواضع عليه جم غفير من الباحثين في حقل الدراسات القرآنية عامة، والدراسات المصطلحية خاصة، منذ العقد الأخير من القرن الماضي، وهو الذي انطلقوا منه في دراساتهم النظرية والتطبيقية لكثير من المصطلحات القرآنية، واعتمدوا في هذه الدراسة عددا من المناهج العلمية، التي تتلاءم مع خصوصية النص القرآني وطبيعة المصطلح الوارد فيه، ولعل أبرزها: منهج الدراسة المصطلحية، ومنهج الدرس الدلالي، ومنهج التفسير الموضوعي: (للتوسع يراجع: "نظرات في المصطلح والمنهج", الشاهد البوشيخي, مطبعة آنفو- برانت, فاس, ط2002/1، و"مباحث في التفسير الموضوعي", مصطفى مسلم, دار القلم, دمشق, ط1989/1، و"الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم"، توشيهيكو إيزوتسو، ترجمة هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2007/1...)

بشكل جزئي؛ كما يخرج أيضا كل لفظ أبقى القرآن الكريم على معانيه اللغوية العادية في سياقاته القرآنية، دون أن يحدث فيه طفرة دلالية.

إن هذه الخصوصية الدلالية الخالصة، المعتبرة في تحديد المصطلح القرآني، تعد مظهرا ساطعا للتطور الدلالي الهائل، الذي خضعت له العربية بمجرد نزول القرآن، والمغاير تماما لما عهده العربي من مفاهيم وتصورات، صيغت في تراكيبها التقليدية وأدرجت في سياقاتها العادية. ولعل السر في هذا التغيير الجذري هو دخول الألفاظ العربية، باستعمالاتها الأصلية في سياق التصور الإسلامي الجديد، القائم على التوحيد وفي إطار نظام مفهومي علائقي جديد، شديد التعقيد؛ اكتسبت منه مقوماتها الدلالية الذاتية، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى[1].

2 - خصائص المصطلح القرآني:

إذا اعتبرنا الدلالة القرآنية الخاصة معيارا محددا لصفة الاصطلاحية للفظ القرآني؛ فإن ذلك يقودنا حتما إلى تحديد أهم الخصائص التي يتميز بها هذا اللفظ القدسي عن غيره، وهي:

*** الربانية:**

إن المتكلم بالقرآن الكريم، والواضع الأول لألفاظه، في سياقاته غير العادية هو الله رب العالمين، لذا يشكل مصطلح "**الله**" اللفظ المركزي، الذي منح المرتبة العليا في نظام المفاهيم القرآنية، ومن ثم تجللت تلك الألفاظ بنفحات الألوهية واستنارت بأنوار الربوبية، فلم تعد تراكيب بشرية عادية، بل صارت تراكيب لغوية غير عادية، وارتقت إلى مقام الربانية القدسية، وعليه كان من الضروري مراعاة هذه الخصوصية عند دراستها دراسة وصفية تحليلية؛ تميط النقاب عن مفاهيمها الحقيقية، أو عند دراستها دراسة مصطلحية مؤصلة لمصطلحات ومعارف العلوم البشرية الوافدة، كما هو مقصود هذا البحث.

---

[1] – يراجع مثلا: مفهوم **الشهادة على الناس** وأبعاده الحضارية، عبد المجيد النجار، الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية، ندوة دولية، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 287/1– 330، ومفهوم **الإله** في كتاب: " المصطلحات الأربعة في القرآن، تعريب محمد كاظم سباق, دار العروبة للدعوة الإسلامية, لاهور, 1955، ص: 9– 31"، ولفظ **كتاب** في: الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، إيزوتسو/43–44.

*** النسقية:**

إن المفردة القرآنية مستقلة بنفسها متفردة ببصمتها، كأفراد البشر ووحدات الكون؛ لكنها غير معزولة عن نظائرها في المواقع المختلفة المؤتلفة، ولا منفصلة عن المفردات الأخرى، ذات الصلة المباشرة وغير المباشرة بحقلها الدلالي الخاص، بل يتكامل بعضها ببعض، ويأخذ بعضها برقاب بعض، ضمن شبكة من العلاقات المفهومية، التي تؤلف نظاما مفهوميا عاما، في غاية الدقة والإحكام، بتصريح قوله سبحانه في وصف كتابه، الذي تشكل مفرداته لحمته وسداه: ﴿**الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ**﴾{هود:1}.

وهذا النظام التركيبي المحكم هو السر وراء اختلاف الأداء القرآني وتشابهه[1] ليكون ذلك باعثا للعقل والقلب على تدبر نظائره ومواقع آياته، وعلاقات بعضه ببعض؛ فيحصل من ذلك التدبر الكشف عن حسن بيان القرآن الكريم، وفهمه الفهم التام[2] الذي به يتحقق صلاح الإنسان ورشاده، ولعل هذه الخصيصة العليا تؤكد وحدانية الألوهية، وتفرد المصطلح القرآني بها من بين سائر المصطلحات البشرية في مختلف العلوم؛ وهو الذي سيتضح بجلاء من خلال دراستنا لمصطلح التزكية وعلاقاته وقضاياه التنموية في القرآن الكريم.

*** التصديق والهيمنة:**

إن الاستعمال القرآني الخاص لمصطلحاته يكشف عن خاصية التصديق والهيمنة، وهي الصفة التي ميز الله بها كتابه عن سائر الكتب الأخرى؛ حيث قال، بعد ذكر إنزال التوراة والإنجيل: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ**﴾{المائدة:48}.

فالمراد بالمصدق المحقق[3] لما صح من هذه الكتب بإقرار الصالح من مفاهيمها وأحكامها وأعرافها، وتغيير الطالح منها وكشف مفاسده[4] وباعتبار أن كلمات الله صادقة، ومن معين وحي الله فائضة، بصريح قوله تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا**﴾{الأنعام:115} فإنها تعتبر مهيمنة بوصف الله لقرآنه: "ومهيمنا"، وفسر في الآية بالعالي والرقيب والشاهد على جميع الكتب والأمم

---

[1]- يصدق ذلك قوله تعالى: (**الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني**) {الزمر:23}.

[2]- يؤيد ذلك قول الفراهي: "والكلام لا يفهم إلا بعد المعرفة بتركيب أجزائه وتناسب بعضه، بل معاني الأجزاء أنفسها لا يطلع على المراد منها إلا بعد الإطلاع على جهتها التأليفية": دلائل النظام/16.

[3]- وإلى هذا المعنى الإشارة في قول الراغب: "ويستعمل التصديق في كل ما فيه تحقيق": المفردات(ص.د.ق).

[4]- ينظر: بحث التصديق والهيمنة مكونا من مكونات المنهج النقدي في القرآن الكريم، د. أحمد عبادي/69، بتصرف: (ندوة قضايا المصطلح في العلوم الشرعية، منشورات جامعة القرويين، ط2011/1م)

السالفة[1] وفي اقترانه بصفة "مصدقا" بالمعنى المتقدم، تأكيد على اكتناز هذه الكلمات القدسية لدلالات العلو والارتفاع والتجاوز، وتتمثل فيما وسعته من آفاق المفاهيم والأحكام السابقة كمفهوم "الرب"[2] وفيما تحمله من دلالات جامعة كلية، تتجاوز مستوى المعاني السياقية الجزئية، لتشكل قضايا كبرى، ممتدة الآفاق والأبعاد؛ كالذي يكتنزه مفهوم الأمر[3]، كما تتمثل فيما تصححه من الفهوم الخاطئة لها، بسبب إسقاط الدلالات المتأخرة الحادثة بعد النزول عليها، وعدم مراعاة استعمالاتها الخاصة في كل سياقاتها؛ ومن ذلك المفاهيم العقدية التي تأثرت بمصطلحات علم الكلام والفلسفة؛ كمفاهيم الإيمان، والإسلام، والتأويل، والكفر، والفسوق...[4].

وفضلا عن ذلك، فكلمات القرآن تشرف من علو جلال الله مباشرة على كل المصطلحات العلمية الإسلامية في مختلف المجالات؛ لكونها أصلا لها، متضمنة لها بشكل من الأشكال؛ فلا تجد مصطلحا من هذه المصطلحات إلا وقد اغترف من بحر معانيها، ولبس من حلل مبانيها، وتضلع من خصوصية استعمالاتها، وهو ما ستكشف عنه بحوث هذا المؤتمر العلمي الباذخ في شقها التراثي.

ونظرا لشمولية المصطلح القرآني لكل مصطلحات العلوم والمعارف، وامتداده تنزيلا وتدبيرا عبر الزمن الدنيوي كله إلى قيام الساعة؛ فإنه يترشح كذلك لتصديق ما صح من مفاهيم العلوم التي أنتجها الفكر البشري في عصرنا الراهن، بعد إعادة تقويمها وتنقيتها من شوائب الفكر الغربي المنحسر في ظاهر من الحياة الدنيا، ثم الهيمنة عليها من خلال تجاوز مفاهيمها الصحيحة وتصحيح معانيها المنحسرة والمنحرفة، والارتقاء بها إلى الآفاق الرحبة للنسق التصوري القرآني، في

---

[1]- يراجع في التحرير والتنوير: 62/21/4، والإتقان في علوم القرآن، السيوطي, مصر, 1368هـ، 53/1.

[2]- ينظر توسعة هذا المفهوم للمفاهيم السابقة في: المصطلحات الأربعة في القرآن/ 32- 92، والله والإنسان: 35- 39.

[3]- استعمل هذا المصطلح في القرآن للدلالة على **الشأن الرباني المتعلق بالخلق تدبيرا وتكليفا**، وهو معنى كلي جامع لكل معانيه الجزئية المستفادة من سياقاته المتنوعة، وهو يتسع ليشمل قضايا كبرى متكاملة، تمتد بها آفاقه الدلالية وترابطاته المفهومية، وهي قضية الأمر الإلهي، وقضية الأمر الإنساني، وقضية الأمر الشيطاني، وتشكل هذه القضايا مجموعات منظمة مترابطة من المصطلحات: (يراجع مفهوم الأمر في القرآن الكريم: دراسة مصطلحية وتفسير موضوعي للباحثة، دار ابن حزم، ط2010/1)

[4]- ولعل هذا الأمر هو الذي دفع الفراهي إلى التأكيد على "الحاجة الشديدة إلى معاني الألفاظ المفردة وأنحائها؛ فإن الناس قد اختلفوا في العقائد لمحض عدم إطلاعهم على استعمال اللفظ الواحد على وجوه كثيرة": التكميل في أصول التأويل, عبد الحميد الفراهي, المطبعة الحميدية, ط: 1388/1 هـ، هامش ص 36.

أبعاده الشاملة للوجود برمته. ولعل البحث في مفهوم التزكية مقارنا بمفهوم التنمية الذاتية يجلي بعضا من دلالات هذه الخصائص الفارقية والتجاوزية.

ثانيا: مفهوم التنمية الذاتية

1- مفهوم التنمية في الاستعمال العربي

التنمية مصدر "نمى" ويندرج في مادة (ن.م.ي) وهي تدل على "**الزيادة والارتفاع**"[1] ولعل هذا المعنى مأخوذ حسيا من قولهم: "**نمى** الخضاب في اليد والشعر: **ارتفع وعلا وزاد**"[2] وقولهم: "**نمى** المال ينمي؛ **زاد**" "**والنامية**: خلق الله تعالى؛ لأنهم ينمون؛ أي **يزيدون**"[3] ويقال: نميت حديث فلان إلى فلان، مخففا، رفعته على وجه الإصلاح، ونمّيته، بالتشديد، **رفعته** على وجه الإشاعة"[4] وكل رفع وارتفاع **زيادة**.

2- مفهوم التنمية الذاتية في المجال التداولي الغربي:

ينتمي مصطلح " **تنمية الذات**" أو "**تطوير الشخصية**" (personal dévelopement أو self-help) إلى مجال "**التنمية البشرية**" (Le développement humain) و"**التنمية**"[5] عملية حركية توجيهية شمولية هادفة، تتعلق بالنمو البشري، وتشمل جميع نواحي الحياة وأنشطة الإنسان وحاجاته ومتطلباته. لذا يقصد بالمركب المصطلحي "**التنمية البشرية**" في أشهر استعمالاته الغربية:" عملية تنمية تؤدي إلى توسيع الخيارات المتاحة أمام الناس"[6] والحريات البشرية لا حدود

---

[1]– مقاييس اللغة، أحمد بن فارس/ (ن.م.ى).

[2]– لسان العرب، ابن منظور/(ن.م.ي).

[3]– مقاييس اللغة/ (ن.م.ي).

[4]– لسان العرب/(ن.م.ي).

[5]– يراجع نشأة هذا المصطلح ومسارات تطوره في: الإسلام والتنمية، إبراهيم بامحمد، منشورات الأوقاف، المغرب، ط 2008/1، ص: 24– 35، ومقال: مفاهيم التنمية والتنمية البشرية والاجتماعية، رغداء زيدان، على الرابط الإلكتروني: dévelopementwww.unrwa.org/ar/who-we-are/human

[4]– وهو التعريف الذي وضعه الباحثان: الباكستاني محبوب الحق والهندي أماريتا صن عام 1990، خلال عملهما في برنامج التنمية الإنمائي للأمم المتحدة،(ينظر: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام 1990م).

لها، ومردها – عند النظر في مجالاتها- إلى ثلاثة خيارات أساسية وهي: "أن يحيا الناس حياة طويلة خالية من العلل، وأن يكتسبوا المعرفة، وأن يحصلوا على الموارد اللازمة لتحقيق مستوى حياة كريمة"[1] غير أن التنمية البشرية لا تقتصر على هذه الخيارات، بل تتسع لخيارات إضافية؛ تمتد من الحريات الأساسية والاقتصادية والاجتماعية، إلى غرض الخلق والإبداع، واستمتاع الأشخاص بالجمال والكرامة الإنسانية وتحقيق الذات وضمان حقوق الإنسان[2] ولا تزال التقارير السنوية العالمية للتنمية البشرية تطور المصطلح عاما بعد عام؛ ففي عام 1993، أصبح أشمل وأوسع؛ حيث عرفت التنمية بكونها "تنمية الناس من أجل الناس بواسطة الناس"[3] وهو مفهوم يؤكد على أن الإنسان محور التنمية وهدفها، إن على مستوى الاستثمار في قدراته، والاستفادة العادلة من ثمار النمو الاقتصادي الذي يحققه، أو على مستوى التمتع بفرص المشاركة في التنمية، ولعل هذه القفزة النوعية في النظرة الغربية إلى الإنسان وطبيعته[4] تعزى إلى جهود علماء النفس والإدارة والتنمية؛ ويلخصها قول أحد فلاسفتهم "استيفن آركوفي": "إن مواهبنا البشرية المتفردة تسمو بنا فوق عالم الحيوان" وذكر أن من أعظمها: حرية الاختيار، والخيال، والضمير، والقدرة اللامحدودة على اكتساب المعرفة والمهارات[5].

واستنادا إلى هذا المفهوم المتطور للتنمية البشرية، اهتم الخبراء الغربيون بتنمية قدرات الإنسان وإمكاناته، والاستفادة منها في استثمار أمثل للموارد الطبيعية وتحسين الإنتاجية، وتطوير الهياكل التنظيمية والمؤسساتية؛ من أجل تحقيق سعادة الإنسان ورفاهيته وتقدم المجتمع، ومن

---

[1]- الحكامة الاجتماعية(مرجع سابق)، ص:114.

[2]- المرجع نفسه/114، Le développement humain, sources, itinéraire et mesure du concept : lahsen Abdelmalki, Patrick mundler, informations et commentaires, n°100, juil-sept-1997, P:33، و ينظر مقال: عن التنمية البشرية بالمغرب: أزمة المفهوم، تأزم الرؤية، يحيى اليحياوي، مجلة وجهة نظر، عدد 29، صيف 2006، ص: 33.

[3]- الحكامة الاجتماعية (مرجع سابق)/115.

[4]- وقد كانت هذه النظرة ولا تزال، في النظرية الاقتصادية التنموية خاصة، تعتبر الإنسان موردا لإنتاج الثروة ومراكمتها، والتنمية زيادة لمجمل الناتج القومي أو المداخل الشخصية وإشباع الحاجات الخاصة (ينظر: Le développement humain, P /26)

[5]- العادات السبع للناس الأكثر فعالية/86-87 ، بتصرف.

هنا شمل مفهوم التنمية البشرية مجال "**التنمية الذاتية**" – كما تقدم- ويقصد به **تنمية مهارات الحياة الشخصية والعملية**؛ من خلال تعلم مهارات القيادة والإدارة، والتفويض وتنظيم الوقت[1]، واكتساب تقنيات الاتصال المطلق؛ كالتحكم في الانفعالات والتحفيز الذاتي، واكتشاف النظام التمثيلي للذات والآخر؛ وإقامة علاقة ممتازة مع أي شخص[2]؛ وهي أمور ترمي إلى تحقيق الفاعلية الشخصية والجماعية؛ أي ترقية الإنسان على مستوى التواصل مع ذاته ومع الآخرين، وتستند إلى مستوى جديد من مستويات التفكير الغربي؛ إنه عبارة عن منهج "من الداخل إلى الخارج"[3] وهو يتصادى مع منهج القرآن الكريم، الذي يعلمنا أن أفضل طريقة لمواجهة الخارج هو تدعيم الداخل وإصلاح الذات، وهذا الإصلاح التنموي هو الذي يصبو هذا البحث إلى تجليته في شقه التطبيقي.

3- مفهوم التنمية الذاتية في المنظور الإسلامي المعاصر*:

لقد أصبحت الإيديولوجية التنموية الغربية عالمية، بعد هيمنة القوى الغربية على مختلف بقاع المعمور، وفرض نظرياتها ومفاهيمها في التنمية على مخططاتها وبرامجها وسياساتها، حتى ترسخ في ذهنيات السواد الأعظم من الشعوب المتخلفة والنامية، ومنها العربية والإسلامية، مقولة مفادها أن كل ما هو غربي هو تقدمي حداثي تنموي، وأن تحقيق الطفرة التنموية المنشودة لهذه الشعوب رهين باتباع الفكر التنموي الغربي ومنهجه في تحقيق منجزاته العمرانية والتقنية والتنظيمية، وأنماط حياته المسرفة في استغلال الموارد والمتعة والرفاهية. وقد نجم عن هذه الأفكار الاستلابية وتطبيق النظريات الغربية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، في معظم الأقطار العربية؛ ما لا يحصى من المشكلات والعلل الخلقية والاجتماعية، وعلى رأسها مشكلة التبعية الاقتصادية والسياسية.

---

[1]– للتوسع ينظر: الطريق إلى التميز، كيف تصنع من نفسك قائدا ناجحا، محمد فتحي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2000.

[2]– ينظر هذه الأمثلة في كتاب: البرمجة اللغوية العصبية، د. إبراهيم الفقي، دار أجيال، مصر، ط 2008/1.

[3]– وهو الذي يدور عليه كتاب استيفن آر.كوفي القيم: (ينظر: ص 55).

أمام هذا الواقع المزري، وفي سياق تفعيل المشروع الحضاري الإسلامي، الذي انطلق منذ العقدين الأخيرين للنهوض بالأمة الإسلامية، وعلاج سوء أحوالها المادية والمعنوية، انبرى معظم كتاب التنمية ومنظرو الاقتصاد الإسلامي إلى التأكيد على ضرورة العودة إلى المرجعية الإسلامية العليا، حتى تستطيع الصمود أمام الفلسفة الليبرالية، بتياراتها المادية والشهوانية الرهيبة؛ وذلك بعد أن استقر رأي كبار المنظرين على أن التجارب الغربية في التنمية لا تنقل: "لأنها لا تقبل الاستنبات في غير تربة نشأتها الأولى، وإنما يستفاد من بعض أجزائها وخبراتها ووسائلها"[1] ومن ثم اتجه عدد من الباحثين والمفكرين إلى المناداة بضرورة تنمية الجوانب المختلفة للحياة الإنسانية، على أساس من البنية العميقة لعقيدة المسلم وثقافته، فاختار أحد ألمعهم "التنمية المتكاملة" عنوانا جامعا لأفكاره ونظرياته التنموية الإسلامية؛ حيث عرفها بأنها: "مجموعة الجهود المتنوعة والمنسقة التي تؤهل المجتمع المسلم للقيام بأمر الله تعالى"[2].

ثم أضاف موضحا هذا التعريف: "فالرفاهية والصحة وفرص العمل والتعليم والتدريب والاستمتاع بأوقات الفراغ والتقدم التقني...كل ذلك يهدف إلى شيء واحد، هو تأهيل المسلم ورفع كفاءته، وتهيئة المناخ البيئي والاجتماعي الذي يساعده على أداء حقوق العبودية لرب العالمين، والقيام بواجبات الاستخلاف في الأرض على الوجه الأكمل"[3].

وعلى أساس هذا الهدف الكبير، اعتبر كثير من الباحثين أن التنمية في الإسلام – بكل أنواعها- عبادة محورها الإنسان، مركز الكون وخليفة الله في الأرض، ووسائلها مشاريع الإعمار التي تحتاج إلى الموارد الطبيعية، والمال، والتقنيات والأدوات والبيئات، وهدفها توفير الطيب وإزالة القبيح من رزق الناس، وتحقيق الحد الأقصى من الرفاه الإنساني، في كل مظاهره، وإلى بناء قوة الأمة؛ لكي تقوم بدورها في العالم، دور "الأمة الوسط"؛ بما يفضي إلى تنمية المعرفة، وترقية

*اقتصرنا على هذا التأصيل المعاصر دون التأصيل التراثي، وإن كان حاضرا عند مفكري الإسلام؛ بحكم غلبة تداوله في الحقل الثقافي المعاصر، الغربي والإسلامي، وبلوغه حدا من التضخم، يسترعي الاهتمام، لاسيما أمام شيوع أوضاع التخلف والتردي في الأمة.

[1]– مدخل إلى التنمية المتكاملة، رؤية إسلامية؛ عبد الكريم بكار ، دار القلم، دمشق، ط2011/4، ص: 22.

[2]– المرجع نفسه/ 10.

[3]– المرجع نفسه.

سلوك الإنسان وقيمه، وتوفير الحياة الكريمة للبشرية[1] فهذا الاهتمام الواضح بأهمية الإنسان المسلم – الفرد والمجتمع والأمة – وقيمة دوره في الأرض، يؤكد أن التنظير للتنمية بدأ يتجه نحو التركيز على تنمية الجوانب اللامرئية في الكيان المعنوي للمسلم، والارتقاء بآفاقه الروحية والعقلية والخلقية؛ لكونها قابلة للتحسن والتجدد والاستمرار إلى ما شاء الله تعالى؛ وذلك يفوق بكثير تنمية إمكانيات رزقه وموارد رفاهه؛ لكونها ناضبة وجسده إلى زوال، وفي نصوص الوحي إشارات إحصائية تؤكد هذا الأمر؛ إذ نجد أن جلها يدور حول إصلاح الإنسان وتزكيته، أما صلاح الأرض وتوفير سبل العيش وشؤون العمران فالحديث عنه قليل[2] مما يعني أن تنمية الكيان الداخلي للإنسان خير سبيل لمواجهة ضغوطات الخارج، وكسر سورة الجشع المادي والتنافس في تثمير المال، كما هو واقعنا اليوم، ومن هنا اتجه خبراء التنمية والإدارة في الآونة الأخيرة إلى الدعوة إلى **تنمية الشخصية الإنسانية**، على كافة المستويات، وجعلوها أس الأساس في مشروع النهوض الأخلاقي والتقدم العمراني، والتشييد الحضاري، وإلى هذا الأمر نبه د. عبد الكريم بكار، ضمن ومضات ثاقبة من مشروعه الفكري الإصلاحي، بقوله: "كل شيء الآن يحتاج إلى المال، والمال يحتاج إلى تنمية حقيقية، والتنمية الحقيقية تحتاج إلى إنسان متقدم، إلى إنسان نمى ذاته، نمى وجوده، نمى عواطفه، نمى أخلاقه، نمى الجانب الاجتماعي، نمى عقله، نمى التزامه، وضبط سلوكه على مرادات الله عز وجل"[3].

وبين في موضع آخر مجالات هذه التنمية، فذكر من أهمها: تنمية قيم القناعة، والإقبال على الآخرة، والحرية والانفتاح، والحوار، والعدالة، والتعاون، ونشر العلم، وتغذية الروح بالذكر،

---

[1]– يراجع هذا المعنى في: فلسفة التنمية رؤية إسلامية، د. إبراهيم أحمد عمر، سلسلة أبحاث علمية(4)، الدار العالمية للكتاب الإسلامي والمعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1981، ص: 18، وكذلك : 24/2– 25 من مجلة شؤون الزكاة، العدد 6، السنة الثانية، يونيو 2002، وينظر: تنمية الشخصية، عبد الكريم بكار، ص: 9– 10، والتنمية الاقتصادية في إطار إسلامي، د. خورشيد أحمد، مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي، العدد: 2، مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، 1985، 68/2.

[2]– تراجع هذه النكتة الإحصائية ودلالاتها في: اكتشاف الذات، دليل التميز الشخصي، د عبد الكريم بكار، دار وجوه، السعودية، ط1431/4هـ ص: 6.

[3]– تنمية الشخصية/16.

وسقي الإيمان بالأعمال الصالحة[1] وإن هذا التصور المتميز للتنمية البشرية هو الذي أطر المشروع التدريبي التنموي للدكتور إبراهيم الفقي – رحمه الله- أحد أشهر خبراء التنمية والإدارة والتدريب في العالم الغربي والإسلامي؛ حيث عرف التنمية البشرية في إحدى حواراته الإعلامية[2] بأنها "التنمية الروحية والنفسية والبشرية لتحسين الحياة، وكل ذلك موجود في القرآن" وأضاف بأن التنمية البشرية ليست علما، وإنما هي حياة؛ لأنها تستدعي "أن تعرف ذاتك، لتكون أفضل مع نفسك، وأفضل مع الآخرين، والأفضل في كل شيء تريد تحقيقه أو تغييره" وذلك يتطلب كثيرا من المعرفة والحكمة؛ مثل دعم الثقة، وتعلم قوة التحكم في الذات والأعصاب، وإدارة التوتر والخوف، ومعرفة التفكير الاستراتيجي، والتفكير الروحاني، وتعلم مهارات القيادة، والإبداع، وصناعة التميز، وتقنيات التحفيز الذاتي، والاتصال الفعال...".

وعلى الرغم من انجذاب د. الفقي وغيره من المتخصصين[3] في التنمية البشرية إلى التوجهات الحديثة في مجالات الإدارة والتدريب وتنمية القوى البشرية في العالم الغربي، والتي أخذت في الاقتراب من الرؤية الإسلامية؛ رغم فقدانها الثوابت والمرجعيات الأخلاقية؛ فقد دأب في عدد من كتاباته المتأخرة على التأكيد على أن النجاح الحقيقي في الحياة هو النجاح المتزن، ولا يكون فقط نجاحا ماديا، وتفوقا في تحصيل الشهادات العلمية وفي إدارة المال والأعمال والتسويق والخدمات، وإنما الأهم والأول من أركان هذا النجاح الكامل الذي يحقق للإنسان الحياة الطيبة المتزنة هو الركن الروحاني (الإيماني)، والذي يشمل علاقة الإنسان بالله، وقيمه ومبادئه في الحياة[4].

تعليق

وهكذا يتضح أن المقصود ب"**التنمية الذاتية**" في المفهوم الغربي تطوير مهارات الحياة الشخصية والمهنية، من أجل تحسين جودة الحياة وتحقيق الأهداف، في عصر التطورات السريعة

---

[1]– مدخل إلى التنمية المتكاملة/ 29– 30.

[2]– على أمواج إذاعة شمس f.w، التونسية، بتاريخ 14 شتنبر 2016 (ينظر على الشابكة بتصرف).

[3]– منهم طارق السويدان، وصالح المنجد، وأحمد قدوس، وعدنان إبراهيم، والإعلامي أحمد الشقيري، وأحمد عمارة، ومحمد عبد الجواد ومروان الدربي...

[4]– يراجع مثلا: سحر القيادة، د. إبراهيم الفقي، دار اليقين، مصر، ط2008/1، والطريق إلى الامتياز، إبراهيم الفقي، الراية، مصر، ط1، 2009.

والتقدم العلمي والتقني والتواصلي الهائل، وهذا المفهوم، كما يتبين، يمثل جزءا فقط من عملية الإصلاح الشاملة للذات الإنسانية في المنظور الإسلامي للتنمية الذاتية، وهي العملية المعرفية والتربوية الصحيحة التي تؤهل المسلم للقيام بتكاليف الإيمان وإصلاح الأرض، ويقتضي ذلك تنمية التصورات الإيجابية وترويض القدرات والطاقات الشخصية، بوصفها تجسد التسوية الربانية المتوازنة، وعليه، فهي غير محكومة بمقاييس وبتداريب بشرية وتقنية فقط لتوفير الراحة النفسية ووسائل العيش، كما هو شأن التنمية الذاتية الغربية، بل هي محكومة بمرجعية عقدية وأخلاقية، مستمدة من الوحي، وداعمة لطبيعة الإنسان الخيرة وكوامن طاقاته الموهوبة والمحدودة...، وبهذه الثوابت والمرجعيات الإيمانية والأخلاقية، تتجاوز التنمية الذاتية في القرآن الكريم التوجهات الحديثة في مجال الإدارة، والتدريب، وعلم النفس، وتنمية الطاقات البشرية في العالم الغربي، وخاصة التي تربط القدرة على تغيير الإنسان لواقعه ومجاله الطبيعي والبشري بإدراكه لاختصاصات عقله الباطن واستخدامه لقدراته البشرية (اللامحدودة)؛ حيث ارتفع بها القرآن الكريم من مجرد التنافس في شحذ الطاقات وتعزيز القدرات، واكتساب المزيد من الخبرات والمعارف والمهارات، بهدف تحقيق المزيد من التقدم العلمي والتقني، والحصول على الثروة، والحياة السعيدة المتزنة؛ إلى مقام الارتقاء بالإنسان وتربيته وتدريبه باستمرار على تنمية تصوراته، وتنمية أخلاقه، ودعم علاقاته، وضبط تصرفاته على مراعاة الله دون سواه، وتجسيد إرادته العليا في كل مجالات الحياة. ولعل هذه التنمية الروحية والعقلية والأخلاقية والاجتماعية، التي هي أساس كل تنمية، تجسد قطب الرحى لبيانات القرآن الكونية والدينية، والركن الأساس في بحر الدلالات التي تختزنها مصطلحاته على اختلاف صورها ومواردها؛ ولعل من أهمها اكتنازا وتجاوزا وتصحيحا لمفهوم التنمية البشرية الذاتية؛ مصطلح التزكية، فما مفهومه؟ وما علاقاته وقضاياه؟ جواب ذلك في قراءتنا لمفهوم التزكية وقضاياه التنموية من خلال القرآن الكريم.

قراءة في مفهوم التزكية وقضاياه التنموية أنموذجا

المبحث الأول: مفهوم التزكية وعلاقاته في القرآن الكريم

المطلب الأول: مفهوم التزكية

1-1 في اللغة

التزكية مصدر زكا، يزكو زكاء وزكوا [1] وأصله يدل على **النماء والطهارة**[2] ومنه" **زكا** الزرع يزكو زكاء؛ أي: **نما**" "**وزكاة** المال: **تطهير وتثمير وإصلاح ونماء**"[3]

2-1 في اصطلاح القرآن الكريم

استصحابا لهذا المعنى اللغوي، وردت مادة (**زكا**) في القرآن الكريم 69 مرة؛ في 28 سورة، منها تسع سور مدنية والبواقي مكية[4]، وذلك ضمن ستة مشتقات: زكى، تزكى، أزكى، زكيا، وزكية، والزكاة[5].

ومعظم ما ورد من "**التزكية**"، و"**الزكاء**" - المشتق المقصود بالبحث- ورد بالصيغة الفعلية، دلالة على حركية التزكية ووقوعها، ماضيا وحالا واستقبالا، وأكثر ورودها بصيغة الفعل المضارع المسند إلى الله حقيقة: ﴿**بل الله يزكي من يشاء**﴾{النساء: 49} وإلى النبي عليه السلام لأنه معلم الناس الوصول إلى التزكية: ﴿**يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾ {الجمعة: 2} وفي صيغة المضارعة دلالة على حضور التزكية في التربية وتجدد وقوعها واستمرارها في الحال والاستقبال، حفاظا على صلاح الشخصية الإنسانية وتوازنها واستقامتها.

---

[1]- لسان العرب/(ز.ك.و).

[2]- مقاييس اللغة/(ز.ك.و) وقيد الراغب معنى **النمو** بأنه **الحاصل عن بركة الله تعالى**، "يقال: زكا الزرع يزكو، إذا حصل منه **نمو وبركة**": مفردات ألفاظ القرآن/ص: 218.

[3]- لسان العرب/(ز.ك.و)

[4]- ولعل حضور المصطلح في المكي أكثر من المدني يتفق مع غلبة استعماله في الدلالة على حقائق عقدية وأخلاقية كبرى، مرتبطة بتربية الإنسان محور التنمية وموردها، وأهمها الإيمان وصالح الأعمال.

[5]- تراجع النماذج في المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي: ص: 420-421.

كما وردت "**التزكية**" في صيغة الماضي مسندة إلى نفس الإنسان، على وجه الممارسة والتدريب لما أعده الله في أصل فطرته، في مثل قوله سبحانه: ﴿**قد افلح من زكاها**﴾ {الشمس:9}ووردت في الصورة الاسمية، بصيغة اسم الفاعل "**زكيا**" صفة لعيسى عليه السلام، في مقام الامتنان على مريم عليها السلام؛ لأن الله جعله – بفضل منه – طاهر الخلق من غير اكتساب وتدريب؛ إذ هيأ الله له أمورا في خلقته جعلته صالحا، وورد من هذه الصيغة أيضا "**زاكية**"[1] ﴿**قال أقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا**﴾{الكهف:74}؛ دلالة على ثبوت صفة التزكية لكل نفس بشرية، فهي نفس طاهرة[2] صالحة، بما أودعه الله في أصل فطرتها من الصفات الخلقية التي صارت للصوقها بشخصيتها المعنوية، كالخلقة المادية التي خلقت عليها[3]

ومن **الزكاء** اشتق اسم الزكاة[4]، سميت بذلك لما فيها من تزكية النفس والمال؛ بالمعنى اللغوي المتقدم، وبدلالة اقتران "**التزكية**" بلفظ "**التطهير**" في قوله تعالى:﴿**خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾{التوبة:103} واطرد اقتران **الزكاة** بالصلاة في مواضع كثيرة من القرآن، ولذلك دلالات سنجليها لاحقا.

وإن المتأمل في الآيات الواردة في مشتق "**التزكية**"، يستنتج الدلالات الآتية:

+ أن التزكية والصلاح فضل من الله، يؤتيه من يشاء، بصريح قوله تعالى: ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد أبدا**﴾ {النور/21}

---

[1]– وهي قراءة عامة قراء البصرة والحجاز، وقالوا: معنى ذلك: المطهرة التي لا ذنب لها، وقرأ عامة قراء أهل الكوفة" زكية" ؛ بمعنى: التائبة المغفور لها ذنوبها: (ينظر: تفسير الطبري: 286/15/9).

[2]– وهو المعنى الذي اختاره الطبري، ولم يفرق بين القراءتين، لأنهما مستفيضتان في قراءة الأمصار بمعنى واحد:(تفسير الطبري، الموضع السابق).

[3]– وذلك معنى قوله تعالى: ﴿**إنا خلقنا الانسان في أحسن تقويم**﴾{التين:4} ظاهري وباطني، ومعنى الحديث القدسي: (... **وإني خلقت عبادي حنفاء**): رواه مسلم، في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، من حديث عياض بن حمار المجاشعي، رقم: 2865.

[4]– وحضوره 32 مرة .

+ أن تزكية النفس لها علاقة بتنمية شعور الرقابة الإلهية في النفس، وتطهيرها من الشرك والمعاصي، وتنميتها وتكثيرها بطاعة الله والصالحات من الأعمال[1]، وتلك صفة المتقين، بصريح قوله سبحانه قبل مدح الذي يؤتي ماله يتزكى: ﴿**وسيجنبها الاتقى**﴾ {الأعلى:17} وقوله: ﴿**هو أعلم بمن اتقى**﴾{النجم/32}بعد ذمه سبحانه للذين يزكون أنفسهم .

+ أن التزكية وردت في مقام المدح حين اقترنت بالعمل الصالح: ﴿**قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى**﴾ {الأعلى:14} في حين وردت منهيا عنها في مقام الذم حين اقترنت بمدح الإنسان نفسه: ﴿**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**﴾{النجم: 32}.

+أن المقصود بالتزكية في القرآن **التربية التامة**[2] **المتكاملة على طهارة الخلق، والتربية تعهد** وإصلاح وتنمية وتنشئة حالا فحالا إلى حد التمام[3]، وبهذا المعنى فالتزكية تربية على الخلق الراقي، وترتكز على دعامتي التحفيز والتحذير، وترمي إلى صيانة الفطرة البشرية روحيا وجسديا وفكريا وأخلاقيا واجتماعيا، وذلك يحتاج إلى تعهد مستمر لما خلقه الله مستقيما في الإنسان، وأعظمه الإيمان به والحاجة إلى عبادته[4]، وإلى إقامة علاقات ناجحة مع خلقه؛ وبلغة التنمية البشرية، إشباع حاجيات التوازن الداخلي والتوافق الاجتماعي، وذلك هو الطريق الموصل إلى السعادة، وهو تفعيل شرائع الدين والفوز برضا رب العالمين.

وإذا قارنا هذا المفهوم القرآني الأصيل بمفهوم التنمية البشرية الوافد، وهو، كما تقدم، توسيع خيارات الإنسان وتنمية إمكاناته الذاتية للاستمتاع بحياته وتحقيق أهدافه، نجد أن التنمية بهذا المفهوم هي عملية ارتقاء بالعنصر البشري وتطويره روحيا ونفسيا وجسديا وعقليا

---

[1]– وعلى هذا المعنى –بألفاظ متقاربة– أهل التفسير: يراجع مثلا، تفسير الطبري، 558/1/1، وتفسير ابن كثير، 175/1، والتحرير والتنوير ، 723/1/1،تفسير آية البقرة: 129. وتفسير الطبري لآيتي الشمس: 9-10: 211/30/15.

[2]– ويؤيد معنى التربية قول السعدي في تفسير(ويزكيهم) من آية البقرة: 151:" بالتربية على الأعمال الصالحة والتبري من الأعمال الرديئة": تفسير السعدي (quran.ksu.edu.sa).

[3]– كما دل عليه أصلها اللغوي، وهو المفهوم مما ورد في: مقاييس اللغة، ولسان العرب، والمفردات/(ر.ب).

[4]– وهذا يؤكد ما بينا، فيما تقدم، أن التنمية ترتكز على الإيمان، وأن الإيمان خلق، ويؤيد ذلك إجماع أهل التفسير حول معنى التطهير من الشرك، والتنمية بالإيمان والعمل الصالح، عند تفسيرهم للتزكية آنفا، وذلك يتضمن صيانة خلقة الإيمان وتنميتها بسلوكيات الإيمان.

واجتماعيا وماديا، من خلال تدريب الذات واستثمار الطاقات والمهارات والقدرات لتحقيق احتياجاته والوصول إلى أهدافه، وهي محدودة بقدراته النسبية وطموحاته الدنيوية؛ إذا قارنا هذا المفهوم الغربي الضيق -على أهميته- بمفهوم التزكية في القرآن المجيد، سنقف مبهورين أمام الإعجاز القرآني في التنمية البشرية، حيث يكمل هذا المفهوم الرباني قصور المفهوم الغربي ويتجاوزه، حين يختزن العمل التربوي الراقي برمته، بما يتطلبه من تطوير وتغيير إيجابي لشخصية الإنسان وقدراته، يدفع به إلى الأحسن في شتى المجالات، وبالقدر الذي يشبع حاجاته المادية والمعنوية، وخاصة المعنوية، وبشكل أخص الحاجة إلى حب الله، وحب ذاته، وحب الآخرين، وذلك هو الذي يرتقي به إلى تحقيق أسمى الأهداف، وهي في الرؤية القرآنية الشمولية، إعمار الأرض وفق الهدى الرباني، والحصول على الحياة الطيبة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة.

إذا عرفنا مفهوم التزكية، فما هي دلالات علاقاته في سياقه القرآني ونسقه المفهومي الفريد؟

3-1 من علاقات التزكية

*** التزكية وتلاوة الآيات وتعليم الكتاب والحكمة**

اقترنت تزكية معلم الخير الناس، الرسول عليه السلام، بتلاوة القرآن وتعليم الكتاب والحكمة في أربعة مواضع؛ منها موضع واحد، تقدم فيها لفظ "التعليم" على "التزكية"، وهو قوله تعالى: ﴿**ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم**﴾ {البقرة:129} وتقدمت التزكية على التعليم في البواقي، في مثل قوله تعالى: ﴿**كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون** ﴾{البقرة:151}[1] ومن دلالات هذا الاقتران وأسرار التقديم والتأخير ما يلي:

+ أن ترتيب تلاوة القرآن في أول الآيات يفيد أن أول مرتبة من تعلم وتعليم القرآن هي التلاوة، كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم[2]، والتلاوة تبليغ مادي وسيلته اللسان، كما أن مجيء الكتاب والحكمة والتزكية بعد التلاوة يفيد أن القرآن مادته علمية وعملية، وأن التالي للكتاب ينبغي أن يفهم القرآن ويتدبره ويعمل به ليصل إلى مرتبة التخلق به (**التزكية**)، وهو الأمر

---

[1]- ومعها آيتا: آل عمران: 164، والجمعة:2.

[2]- في مثل قوله تعالى:﴿**ورتل القرآن ترتيلا**﴾ {المزمل:4} وقوله:﴿**وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث**﴾ الإسراء:106.

الذي يؤهله لتعليمه على نفس المراحل والمراتب (التلاوة، الفهم، التدبر، التخلق)، وهذا الفهم القرآني يطابق الخبر المشهور: (**خيركم من تعلم القرآن وعلمه**)[1] وقوله عليه السلام: (**أهل القرآن أهل الله وخاصته**)[2] فقيد الأهلية والخيرية لا يرتبط بمجرد التلاوة والفهم وإنما بالعمل؛ لأن العلم لا يصير علما إلا إذا أصبح في درجة اليقين؛ إذاك يمكن أن يكون حافزا للعمل، وإلا كان المعلم والمتعلم في حكم الذين لعنهم الله من اليهود: ﴿**مثل الذين حملوا التوراة ولم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا**﴾{الجمعة: 5}.

+قدمت التزكية على التعليم تارة وأخرت عنه تارة أخرى، ليعلم أنها مما ينبغي تجديدها، فهي قبل التعليم واجبة، وهي بعده ضرورية، وهذا ما يقتضيه العطف بالواو؛ وعلاقة التعاطف تدل على التلازم بينهما.

+ بتأمل سياق الآيات المقصودة بالدراسة يتبين أن تقديم التعليم على التزكية ورد مرة واحدة في سياق الإخبار عن دعوة إبراهيم وإسماعيل بين يدي بناء البيت، وفي ذلك إشارة واضحة إلى أن وظيفة الأنبياء والدعاة التعليم والبيان، وأما التزكية فلاحقة وتابعة؛ لأنها ليست بمقدورهم، إنما هي بيد الله وحده، يهبها لمن يشاء ويمنعها عمن يشاء، كما قال سبحانه: ﴿**بل الله يزكي من يشاء**﴾:{النساء: 49}

وأما سياق تقديم التزكية على التعليم في معظم موارد العلاقة، فهو من كلام الله المباشر للناس، ويدل على أن التزكية من الأهداف العالية، والأهداف تقدم على الوسائل لأهميتها، ولأنها كذلك فهي بيد الله أولا والرسل والدعاة مبينون فقط، كما تقدم، والقلوب تختلف في تقبلها للهدى، وليس باستطاعتهم استمالتها.

+ من دلالات تقديم التزكية على التعليم أن الرسول عليه السلام ينمي فيهم الاستعداد للتعلم، ويبث فيهم الدوافع نحو طلب العلم، مما ييسر عليهم عملية التلقي والأخذ، ومن دلالات تأخرها عن التعليم أن الرسول ينميهم بما يعلمهم من الكتاب والحكمة، وذلك بيانه صلى الله عليه وسلم لآيات الله وحكمه وأحكامه، والحكمة- عند المفسرين- هي السنة؛ أي الكيفيات

---

[1]– صحيح البخاري في فضائل القرآن، عن عثمان بن عفان رضي الله عنه، رقم: 5027.

[2]– صحيح سنن بن ماجة، ناصر الدين الألباني: 1/ 90، في فضل من تعلم القرآن وعلمه، عن أنس بن مالك، رقم: 214.

العملية التطبيقية التفصيلية لآيات الذكر الحكيم[1]، والتزكية هي التنمية الحاصلة بما يستفاد من حصيلة المعارف والعلوم المستنبطة من آيات الله وحكمته ومقاصده، والمؤدية إلى الالتزام بطاعته.

ومن هنا، يتبين أن العلاقة بين التزكية والقرآن المجيد تلاوة وتعليما وتفهيما **علاقة تلازم.**

*** التزكية والتدسية**

ومورد العلاقة قوله تعالى: ﴿**قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها**﴾ فالتزكية هنا تطهير للنفس من الذنوب، وترقيتها وإصلاحها بطاعة الله وبالعلم النافع والعمل الصالح[2] وهذا المعنى **يقابل معنى "التدسية"**، وهو نقصها حقها بفعل المعاصي ومجانبة البر والقربات، بعد أن عرف الله كل نفس الخير والشر، وبين لها الهدى من الضلال[3] والتدسية بهذا المعنى تلتقي مع مفهوم "التغيير" القرآني، بدلالته على الانتقال من حال التزكية (صلاح) إلى حال التدسية (فساد)[4]، ويشمل تحويل الداخل عن خلقه السوي الهادف، وتبديل دين الله، وهذه عملية يحتمل مسؤوليتها الإنسان[5] ونتيجتها الحتمية هي تبديل الله تعالى النعم بالنقم[6]، فإذا غير الإنسان داخله بتبديل الإيمان بالكفر والطاعة بالمعصية، غير الله له الإمكانات والإمكانيات، والبيئة والأشياء، وإلى هذه السنة الإلهية الإشارة في قوله سبحانه: ﴿**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**﴾ {الرعد:11}.

---

[1]- وهذا المعنى ذكره الطبري بإسناده عن قتادة، والطاهر ابن عاشور عن الشافعي، ويقرب منه ما اختاره الطبري في معنى الحكمة: "العلم بأحكام الله التي لا يدرك علمها إلا ببيان الرسول عليه السلام والمعرفة بها" وقول الطاهر ابن عاشور: "العلم بالله ودقائق شرائعه، وهي معاني الكتاب وتفصيل مقاصده" وكل ذلك مما علمه رسول الله لصحابته (تفسير الطبري: 558/1/1، والتحرير والتنوير: 723/1/1 تفسير آية البقرة:129)

[2]- وهو المفهوم مما ورد في: تفسير السعدي(quran.ksu.edu.sa)، وتفسير الطبري : 211/30/15.

[3]- يراجع تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1998/1، 432/10-433.

[4]- ويؤيد هذا المعنى أن التغيير في المعاجم هو الانتقال من حال إلى حال، واستعمله ابن منظور في معنى الانتقال من الصلاح إلى الفساد:(لسان العرب/غ.ي.ر) .

[5]- بدلالة ورود التغيير بالصيغة الفعلية، مسندا إلى الإنسان، بآية الرعد: 11.

[6]- ويؤيد ذلك قوله سبحانه في سياق الإخبار عن تكذيب آل فرعون والذين كفروا بآيات الله، وما لحقهم بسببه من الهلاك وزوال النعم (**ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**) {آية الأنفال:53} ومجيء "التغيير" مضافا إلى الله بالصيغة الاسمية فيه دلالة على ثبات سنة الله في التغيير واطرادها.

وإذا كانت التزكية تنمية شاملة لشخصية الإنسان في جميع أبعادها، وأنها حاصلة على التمام من تلاوة الكتاب وتعلمه والعمل به، فما هي وسائلها التي بها يحقق المؤمن أهدافها؟

المطلب الثاني: وسائل التزكية

بتتبع آيات تزكية الأنفس وتأمل سباقها ولحاقها، نستنتج أن من أعظم وسائل التزكية في القرآن، على الترتيب:

2-1 الإيمان بالله وعدم الإشراك به: الاعتقاد هو الأساس الذي تبنى عليه كل الأفعال وهو أهم خطوة على طريق النجاح[1] أو الفشل في الدنيا والآخرة، والاعتقاد بأن الله حقيقة لا يتطلب أن يكون مشاهدا محسوسا، ولكن الاعتقاد بأنه حقيقة وما سواه وهم وباطل، يحرم على الإنسان تدنيس وتدسية ذاته به، يصرح بهذا الاعتقاد الراسخ في الله، قوله سبحانه في سياق الإخبار عن جزاء من طهر نفسه من الشرك وزكاها بالإيمان، على لسان سحرة فرعون: ﴿**وذلك جزاء من تزكى**﴾ بعد أن أعلنوا إيمانهم على رؤوس الأشهاد: ﴿ **إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى**﴾ ثم ذكر سبحانه الجزاء: ﴿**إنه من يات ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن ياته مومنا قد عمل الصالحات فاولئك لهم الدرجات العلى**﴾ {طه: 73-76}

ويخالف هذا الإيمان دنس الإشراك، وذلك قوله تعالى في سباق آية النساء: 49 ﴿**ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلا**﴾ في مقام ذم الذين كفروا من أهل الكتاب: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما)**

2-2 طاعة الله ورسوله:

يشير إلى ذلك خبر قوم صالح الوارد في سورة الشمس، بعد ذكر التزكية والتدسية: ﴿**قد أفلح من زكاها**﴾ مما يفيد – بدلالة المخالفة- أن من زكا نفسه باتباع أمر الأنبياء فقد ربح وفاز، ويؤكد ذلك ما ورد في القرآن من وجوب طاعة الله ورسوله، وهو أكثر من أن يحصى.

[1]– ينظر: قوة التحكم في الذات، إبراهيم الفقي/ 40.

3-2 الصلاة وذكر الله واستحضار مراقبته وتقواه:

ذكر الله يورث الخشية، ورأس الذكر القرآن، وهو لا ينفك عن الصلاة، والتذكير به يدفع نحو استحضار مراقبة الله وخشيته وتقواه، لذا جاءت الخشية مقرونة بالصلاة في سباق التزكية، بدلالة قول الله تعالى لرسوله: ﴿**إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة، ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه وإلى الله المصير**﴾{فاطر: 18} وجاءت مقرونة بالتذكير بالقرآن في آيات عبس: 8-10﴿ **وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى**﴾ بالقرآن وسماع الهدى؛ ثم قال تعالى في لحاقها، معاتبا النبي: ﴿**وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى**﴾ وجاء ذكر اسم "الرب" مقرونا بالصلاة، وفي لحاق التذكير بالقرآن من يخشى ﴿**سيذكر من يخشى إلى قوله قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى**﴾، وكل هذه الترابطات تحمل دلالة قوية على أن الإنسان يتزكى بما يحدث له من الخشية عند ذكر الله وعند الاتصال به من خلال الصلاة، ولا غرو فهي الفريضة الوحيدة التي فرضت في السماء، دلالة على عظيم أمرها عند الله.

والذي يتزكى بالقرآن وبذكر الله في الصلاة، ويعمر قلبه بتقوى الله يعلمه الله: ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾{ البقرة:282} ورأس العلم العلمُ بكتاب الله تعالى.

4-2 الصبر

وردت الاستعانة بالصبر والصلاة في لحاق التزكية، بآية البقرة: 153﴿**يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين**﴾ والصبر أساس الإيمان باليوم الآخر، وهو أساس القيم الدينية والخلقية، التي ترتكز عليها التزكية، كما تقدم، لذا كان منه ما يكون لانتظار ما وعد الله[1] وماذا ينتظر الصابرون أكثر من قول الله تعالى: ﴿**وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾{البقرة:155-156} ولأن الالتزام بالصبر يحتاج إلى إيمان قوي وعزم شديد وطاقة نفسية هائلة، فإن الله ينادي عباده بصفة الإيمان التي تقتضي ارتباطهم به وإطاعة أمره ونهيه، ويدعوهم إلى التسلح به وبالصلاة واستحضار معيته في مواجهة التكاليف الشاقة، ومنها الصوم والجهاد والعفاف والحلم وترك الفضول والتوكل والخشية والتقوى،

[1]- ينظر: دلائل النظام/ 36.

والتقوى هو التزكي[1] والممارسة الخلقية أحوج ما تكون إلى **الصبر**؛ لأنها جهاد مستمر داخل النفس وخارجها للتطوير والتحسين؛ إنها التزام الذات بالتدريب الشاق على ترسيخ سلوك إيجابي وتغيير سلوك سلبي، وذلك يستلزم الصبر على إمساك النفس على التقوى وكفها عن الشهوة، وفي مقدمة ذلك الصبر على الصلاة، وكف الذات عن أي تفكير يبعدها عن الوصل والاتصال بالله، ومن هنا ربط الله تعالى بين الصبر والصلاة في هذه الآية الكريمة، دلالة على أن أداء هذه الشعيرة أداء صحيحا يحتاج إلى الإيمان والصبر والتحمل؛ ولا غرو في ذلك فإن هذا الأداء يستلزم بذل جهد مستمر في تركيز الفكر وإحضار القلب وتفعيله ورفع طاقته الروحانية، حتى يحل السلام في الداخل، ويستطيع الإنسان إنجاز أشق الأعمال، ومواجهة أشد المواقف، ولعل أشقها على الذات هو التخلي عن الرغبة في البقاء في سبيل أن يبقى الإيمان، وهذا هو دليل استحقاق المؤمنين لهويتهم الإيمانية الصادقة، كما يدل على ذلك قوله تعالى في لحاق هذه الآية: ﴿**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون**﴾ {البقرة:154}

4-2 الصدقة:

هي أسطع برهان على الإيمان والتقوى[2]، وأعظم إنجاز لفعل الصلاة وذكر الله؛ لذا قرنت بالصلاة في معظم المواطن، دلالة على تشابههما في الهدف (**التزكية**) وأكثر ما وردت الصدقة بلفظ "**الزكاة**"[3] من الزكاء والتزكية؛ في مثل قوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين**﴾ {البقرة: 43}، وبلفظ الصدقة في مثل آية التوبة:103 ﴿**خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها**﴾ وبلفظ "**الإيتاء**" في مدح من يتصدق اتقاء النار، بآيتي الليل: 17-18 ﴿**وسيجنبها الاتقى الذي يوتي ماله يتزكى**﴾ والصدقة تطهر النفس والمال من الشح والنقصان، وتنميهما بالعطاء والبركة.

---

[1]- ينظر: المصدر نفسه/ 108.

[2]- ويعضده قول الفراهي: "والجود يهدي إلى التقوى": دلائل النظام/108.

[3]- وروده في القرآن 32 مرة أكثر من مشتق التزكية(27 مرة) فيه دلالة واضحة على فعالية الصدقة القوية في تحقيق التنمية.

كذلك وردت الصدقة بلفظ "**العطاء**" مسندة لمن تولى ولم يستجب لنداء الإيمان، ولم يعط إلا القليل من ماله، في لحاق آية النجم: 32 ﴿**فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى**﴾ وقد عجب الله من فعل هؤلاء في مقام الذم: ﴿**أفرايت الذي تولى وأعطى قليلا وأكدى**﴾ 34.

وفي هذه الموارد إشارات واضحة إلى أن من أهم الوسائل الروحية والشعائرية لبلوغ ذرى التقوى والتزكية، الإيمان بالله واليوم الآخر و والصبر والصلاة والمواساة.

2-5عدم اتباع خطوات الشيطان:

وهو النهي الذي صدر إلى المؤمنين عقب الإخبار عن حادثة الإفك: ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يامر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء**﴾ {النور:21} فأفاد هذا النهي الذي سيق في مقام العتاب للمؤمنين والامتنان عليهم بالرحمة والتزكية والإصلاح، أن من وسائل التنمية النفسية والاجتماعية إمساك اللسان عن قذف المحصنات المؤمنات الغافلات، الأمر الذي يحفظ على المجتمع طهارته ويمنع من انتشار الفاحشة بين أفراده، ومما يندرج في النهي عن اتباع خطوات الشيطان، ويعد من أهم وسائل تزكية الفرد والجماعة؛ اجتناب أسباب الإغراء والغواية والفتنة، والالتزام بضوابط الإسلام في دخول البيوت، وفي غض البصر وحفظ الفروج وإبداء الزينة والتبرج، والامتثال لأمر الله بنكاح القادرين عليه، وبالاستعفاف لغير القادرين؛ مما ورد مفصلا في سورة النور، التي تدور حول محور التربية الخلقية[1]

وقد وردت التزكية في هذه الآيات في موضعين ﴿**أزكى لكم**﴾ بصيغة التفضيل، دلالة على حرص القرآن على وقاية المشاعر وتطهيرها، وعدم إفسادها بالشهوات والفواحش والمنكرات، وكلها سدود منيعة أمام التخلق بحدود الإسلام وتنمية الأنفس بها، دل على ذلك ما تكرر في القرآن الكريم من تغليظ أمر الفاحشة وحرمة الفواحش وكبائر الإثم، ما ظهر منها وما بطن، وذلك حرص منه سبحانه على حفظ حرمات المجتمع وأعراضه، وتماسك لبناته، ومن المعلوم أن شيوع الزنا والخنا في المجتمع – كما هو واقع اليوم – له عواقب مدمرة على جميع مستويات التنمية، فيصبح المجتمع هشا سهل الاختراق، ويصبح أفراده ضعفاء الإرادة والهمة، قد سيطرت

[1]– وخاصة الآيات 30-33.

عليهم الشهوات، وأصبح زمام أمرهم بيد الشيطان، فتنقطع صلتهم بالله ويتركون عمل الصالحات، الذي هو أساس الإعمار والبناء والتمكين في الأرض، ومن ثم تتعطل التنمية ويعم الخراب.

6-2 التزام تقوى الله في معاملة النساء

وخاصة في حال الفراق والمراجعة، في سياق توجيه من بيدهم تزويج النساء، بآية البقرة:23﴿ **وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم الآخر**﴾ فهنا يطلب الله تعالى من الأولياء أن لا يمنعوا النساء من نكاح أزواجهن بعد طلاقهن وانقضاء عدتهن، ويعد ذلك من أمارات الإيمان بالله واليوم الآخر، ومن سبل التزكية والتطهير والحفاظ على عفة الأزواج وصلاحهم: ﴿**ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون**﴾.

وبهذا يتضح أن آليات التزكية القرآنية تركز أكثر على العقائد وبواطن الأخلاق، وخاصة النفسية والاجتماعية، وبلغة التنمية الذاتية على الجانب الروحي والسلوكي، وهو الأهم في تحقيق السعادة؛ لأنه له علاقة بالله، وهو الأهم في ميزان الله.

ومعنى ذلك أن الذي يريد أن يتزكى وينمي طبيعته وسجيته الطيبة، عليه أن يمتلك اعتقادا قويا بخالقه، وبعلوه وسلطانه وحاكميته ورقابته، وهذا الاعتقاد هو الذي سيزيد من ثقته بنفسه ويساعده على الإنجاز وتحقيق الأهداف، والذي يريد أن يتزكى عليه أن يتخلص من مرض تمجيد الأنا السلبية: ﴿**ولا تزكوا أنفسكم**﴾ وأن يداوم على الاتصال بخالقه، وذكره وحسن عبادته والتقرب إليه، والذي يريد أن ينمي ذاته لابد له من التواصل مع خلقه من خلال مواساتهم بماله، وهو جوهر بناء العلاقات الطيبة التي ترتكز عليها التنمية الذاتية؛ والذي يريد أن يتزكى ويترقى، لا بد أن يدرب ذاته على الخوف من العقاب الإلهي (**التقوى**)، فيضبط نفسه إزاء مثيرات الشهوة وإغراء الهوى، ويصبر عندما يكون احتمال الأذى أقوى، كما هو الشأن عند تفكك علاقاته الأسرية.

فالتزكية هي التدريب على الخشية، والخشية التي هي شعور داخلي تنتج الخلق الراقي، أي السلوك الذي هو سر قوة الإنسان، وليس المعرفة النظرية فقط[1]، وهي ترقية وتنمية نحو الكمال المنشود، ويتطلب تعهدا مستمرا وتعليما متجددا، ولن تصلح تربية أو تزكية إلا إذا اعتمدت على القدوة الحسنة، وهي أهم وسيلة للتنمية، والمجتمع النامي هو الذي يعرف قدر قدواته؛ لأن الآية تقول في وصف مهمة الرسول التعليمية: ﴿**ويعلمهم**﴾ والتعليم ليس فيه فصل بين النظري والعملي، ولا خير في تعليم يخزن المعلومات، ولا يطهر النفس ويربيها على مراعاة الله دون سواه، ويرقى بها إلى مرتبة الإخلاص.

والنبي صلى الله عليه وسلم تمثلت فيه أخلاق القرآن، كما امتدحه القرآن، ووصفته السيدة عائشة، فحل فيه القرآن بمعناه وحل فيه بعمله، وحياته تمثل مجموع الفضائل التي حث عليها القرآن، لذا كان عليه السلام حريصا على تطهير صحابته من الأهواء، وتعبيد قلوبهم لله، وبناء نفوسهم المؤمنة، وتشكيل نسيجهم الاجتماعي الإسلامي، فكان من أثر تعليمهم وتزكيتهم بالقرآن أن انتقلوا من ضلال الفكر والسلوك إلى حال أصبحوا فيه صناع حضارة امتدت لقرون، وقادة عالم لم يشهد التاريخ لهم مثيل.

فهذا أثر واضح من آثار التزكية المحمدية لأصحابه، وفي ما يلي سنقف بتفصيل على أهداف القرآن من تنمية عناصر الخير والإيمان والصلاح في الإنسان.

المطلب الثالث: أهداف التزكية

وتتجلى من خلال مستويين، تندرج تحتهما أهم أشكال تنمية الشخصية، بشقيها الروحي والمادي.

1-3 على مستوى التلاوة والاستماع:

التزكية اقترنت بالتلاوة، ومعنى ذلك أن التزكية بالقرآن تبدأ من التلاوة، لما لها من إنجازات تنموية عظمى، وهي:

[1]– لذا ليس في القرآن آمنوا ولم يعملوا، فتصور مفهوم العفة –مثلا– لا اعتبار له ما لم يصر سلوكا للذي تتوفر له القدرة على الزنا...

+ تنمية الصوت وتحسينه وتطويره:

إن الالتزام بإتقان التلاوة ومراعاة قواعدها وصفات الحروف ومخارجها، تنمية للصوت وارتقاء به وتزكية لصاحبه[1]؛ لما في هذا الالتزام من إعداد قلب القارئ والسامع لاستقبال آيات القرآن حسا وتبليغ هدايات القرآن معنى، يدل لذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يأمر أصحابه أن يقرؤوا عليه القرآن، وقد أمر أبا موسى الأشعري بالقراءة، فقرأه عليه – رضي الله عنه- حتى ذرفت عيناه الكريمتان، فقال له مزكيا صوته: (**يا أبا موسى لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داود**) [2] وذلك لأنه كان بليغ الصوت، صادق النبرة، بين النطق، وكان الرسول عليه السلام جيد الاستماع والاستيعاب[3]؛ لأنه درب أذنيه على ممارسة الإصغاء، فتقوى عقله وتزود بالطاقة العالية التي صنعت منه قائدا مبدعا في تفكيره الدعوي والإنساني[4]، وهذا هو نتيجة التدريب على تلاوة القرآن والاستماع إليه.

+تنمية جهاز استقبال القلب للوحي:

القلب هو مركز الفكر والإحساس والذاكرة، هو العين الذي يسقى منها كل عضو، والمنطقة التي لا يستطيع النظر فيها أحد سوى الله؛ لأنه سبحانه وحده المتخصص فيها المراقب لها، وهي النقطة التي تتحكم في كل شيء؛ في الجوارح، وفي الأعمال، وفي المصائر، فإذا كان القلب معطلا لا يفقه، ولا يبصر، ولا يتذكر، فالجوارح كلها معطلة، كما قال تعالى: ﴿**ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم اضل**﴾ {الأعراف:179} والقرآن إنما نزل لتفقيه القلب قبل الجوارح، وإصلاح الداخل قبل الخارج، وفي واقعنا الذي يشهد له العلم وتؤيده التجربة، يعد سلوكنا دائما

---

[1]– دل على هذا الارتقاء الخبر المشهور الوارد في تزكية قارئ القرآن: (**يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق، ورتل كما كنت ترتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها**): رواه أبو داود في سننه، أبواب فضائل القرآن، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، رقم: 1464، 592/2.

[2]– رواه البخاري في فضائل القرآن، عن أبي موسى رضي الله عنه، رقم: 5048.

[3]– امتثالا لما ورد في القرآن الكريم من توجيه إلى الاستماع للوحي عامة والوحي القرآني خاصة.

[4]– يؤيد ذلك ما ذكره يوسف الأقصري من نتائج الاستماع إلى القرآن الكريم في: الشخصية المبدعة: 64-65.

هو ثمرة أفكارنا ومعتقداتنا[1]، لذا فإن أفضل طريقة لمواجهة ضغوطات الخارج هو تنمية ما بداخلنا[2] وهذه النقطة المنهاجية تظهر من خلال أول ما نزل من القرآن: ﴿اقرأ﴾ أمرنا الله تعالى بالمعنى الكوني -ومنذ البرمجة الأولى لمعتقداتنا- بأن نخزن معارف وأفكارا وتصورات عن الله والكون والإنسان، قبل أن نؤمر بالعمل بسلوكيات الإيمان، وأمرنا بالمعنى الديني التعبدي بأن نقرأ القرآن، القراءة التي توقظ القلب وتطهر الروح، ويزيد بها رصيدنا الإيماني والروحي، الذي هو الأهم في ميزان الله ،كما تقدم، وهذا يتطلب أن نتلقى القرآن – حين نقرأه أو يتلى علينا- بحضور قلب وبيقين تام أنه ذكر من رب العالمين، وأن رب السماوات والأرض هو الذي يخاطبنا، ويريد منا أن نترقى نحو الأعلى بتذكر قدره ونعمه وذكر أسمائه الحسنى، وبهذا تقع اليقظة بعد الغفلة، ويقع التذكر بعد النسيان[3] ثم يقع التخلق بالقرآن؛ أي التزكية التي تسوق إلى الفلاح في وعد الله الصادق: ﴿**قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى**﴾وفي قوله سبحانه: ﴿**إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور**﴾ {فاطر:29} فبين تعالى أن الذين يتلون كتاب الله أو يستمعون إليه بوصفه ذكرا من الله وليس أي كلام في أي كتاب، هم الذين يتذكرون، فيعملون بأحكامه (**الصلاة والزكاة**)؛ لأن الذكر طارد للغفلة والنسيان، وهما رديفا الموت[4]، والذكر فيه معنى الحياة ومعها اليقظة والتذكر، ولا تزكية وتنمية بغير ذكرى وتذكر أنك تخاطب من علو جلاله مباشرة، وذلك ينمي القلب والوجدان، ويسكب فيه

---

[1]– وحول هذا الإدراك المتميز للسلوك البشري، والذي يتقاطع مع منهج القرآن في الإصلاح، يدور علم نفس نظرية الاختيار الذي طوره الطبيب النفسي الأمريكي ويليام جلاسر، وجعله منهجا لنصائحه واستشاراته، وأثبت نجاعته في تغيير أفكار الإنسان وسلوكياته إلى الأفضل، ومن مقولاته الحكيمة التي تتفق مع منهج "من الداخل إلى الخارج":" كل ما نفكر به أو نفعله أو نشعر به نتاج ما يحدث بداخلنا": (كن مسؤولا عن حياتك/12.) وهذا المستوى الجديد من مستويات التفكير يدور عليه أيضا كتاب العادات السبع للناس الأكثر فعالية، ستيفن آر كوفي: (ينظر مثلا ص55) ويراجع نظائره في : المفاتيح العشرة للنجاح، د إبراهيم الفقي، ص:37، وسحر القيادة، الفقي، ص: 56، وقوة التحكم في الذات، الفقي، ص: 40، 83.

[2]– ينظر: تنمية الشخصية، عبد الكريم بكار/10.

[3]– كما قال تعالى: ﴿واذكر ربك إذا نسيت﴾:{الكهف:24}.

[4]– وفي هذا المعنى قال الرسول عليه السلام: (**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه، مثل الحي مع الميت**): رواه البخاري في الدعوات، عن أبي موسى رضي الله عنه، رقم: 6407.

الطمأنينة والسلام، ويؤهله لتلقي المعاني النورانية في حلقات تعلم القرآن وتعليمه بطريقة التدبر والمدارسة.

+ تنمية القدرات العقلية:

العقل وظيفة من الوظائف الأساسية التي ترجع في وجودها إلى القلب؛ فالقلب يشعر، وينقل الصورة الذي طبعت في ذاكرته إلى العقل، فيتذكر ويتفكر (**إن في خلق السماوات والأرض واختلال الليل والنهار لآيات لأولي الألباب**﴾{آل عمران:190} فأصحاب العقول المستنيرة بنور الوحي هم الذين يتفكرون، ويحللون ويستنتجون، وينسقون بين الآيات المقروءة والمشهودة[1]، فيعتبرون: ﴿**فاعتبروا يا أولي الأبصار**﴾{الحشر:2} أما الغافلون؛ أصحاب القلوب القاسية، فلا يعتبرون ولا يعقلون شيئا، ﴿**ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون**﴾{البقرة:171}

وقد ثبت علميا أن لتلاوة القرآن التأثير العجيب على الخلايا والأعصاب والعقل، بمجرد تلاوته في غير المسلمين، أما تلاوة المسلم له؛ فقد ثبت أنها تزيل التشتت والضجر والنسيان السريع؛ وأن العقل يصدر سلسلة من الطاقات والترددات، التي تسمى بالموجات العقلية، وتتغير تبعا للتفاعل النفسي مع الآيات الكريمة[2]؛ بل وثبت واقعيا، أن تلاوة القرآن باستمرار تحسن الذاكرة وتنمي القدرة على التذكر وعلى التحصيل والاستيعاب، وتقوي مهارات التفكير والتحليل والاستقراء والاستنتاج والتأمل؛ وبذلك ترقى العمليات والمهارات العقلية لدى القارئ والسامع، بفضل تدريبهما المستمر على تتبع آياته ونظائرها، ووجوه معانيه ودلالاته، وبهذا التتبع يحصل لهما الهدوء والاطمئنان[3]، أو حالة من السلام الداخلي، الضرورية للتعلم والتذكر والتفقه، هذه الحالة التي لا يحتاج معها تالي القرآن إلى تمارين الاسترخاء والتنفس العميق، التي ينصح بها علماء

---

[1]- يشير فريق من علماء النفس إلى أن الذاكرة تخضع لعملية تنسيق محكمة: (ينظر: كيف تتخلص من النسيان وضعف الذاكرة، يوسف الأقصري، ص: 90)

[2]- ينظر: الشخصية المبدعة، يوسف الأقصري، ص: 36-37 بتصرف

[3]- المرجع نفسه، ص: 48.

النفس والتنمية البشرية؛ كما لا يحتاج، مع الفعالية التي يرتقي إليها تفكيره وذاكرته، إلى تدريبات تنشيط الذاكرة والصقل الذهني، التي يوصي بها أطباء الأعصاب والخلايا العقلية والعصبية[1].

إن هذه الكفاءة الشعورية والعقلية التي ينعم بها تالي القرآن، ويرجو أن ترقى به إلى مرتبة النفس الزكية المتخلقة بخلق القرآن؛ لا تتحقق بمجرد التلاوة التي تراعي رسم الحروف والألفاظ والتغني بالمقامات وتشنيف الآذان؛ وإنما تتحقق حقا بفهمه على جهة التدارس والتدبر، وهو المستوى الثاني والثالث من مستويات التعامل النموذجي مع القرآن؛ لتحقيق التنمية المنشودة.

3-2 على مستوى التدارس والتدبر:

التدارس هو تشارك في عملية تعليم وتعلم القرآن، وهو الشرط المميز لحصول الربانية، وهي تزكية أشار إليها القرآن الكريم:﴿**ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**﴾،{آل عمران:79} فالقرآن الكريم لم ينزل للفرد وإنما أنزل للجماعة، بهدف التدبر الفردي والجماعي: ﴿**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب**﴾{ص:29} فعلم أن البركة والنماء يحصلان بتدارس القرآن وتدبره، والتدارس فوق القراءة والتفسير؛ إنه تتبع صيغ العبارات ومعانيها ودلالات الآيات وأحكامها، انطلاقا مما يدل عليه مقامها ومقالها، وهو منهج تعلم وتعليم معاني النصوص وأحكامها، الذي يجسد وظيفة النبي المشار إليها بقوله:﴿**ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾، وهو الذي طبقه رسول الله مع صحابته، بعد أن تعلمه من جبريل في حلقات التدارس الرمضانية التي كان يعقدها معه صلى الله عليه وسلم في كل ليلة من ليالي الشهر الفضيل.

وثمرة هذا التشارك والتشاور في فهم معاني القرآن **التزكية**؛ أي التخلق بالقرآن، كما أشارت إليها الآية الكريمة: ﴿**ويزكيهم**﴾، وأفاده آخر حديث الحض على التدارس: (...**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم**) إلى قوله (**ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه**) [2] لكن هذا الترقي في الفهم الذي يسوق إلى العمل لا يحصل على التمام إلا بالتدبر؛ أي بإمعان النظر في مآلات النصوص ومعانيها وأهدافها الكبرى؛ بتنمية الفهم من داخل النص إلى خارجه، وذلك بتتبع أهدافه النفسية والتربوية وأهدافه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، مما

[1]– يراجع أشهر هذه التدريبات في: كيف تتخلص من النسيان وضعف الذاكرة، يوسف الأقصري، ص: 69-72.

[2]– رواه مسلم، في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، عن أبي هريرة رضي الله عنه، رقم: 2699.

يستهدى به في علاج مشكلات الواقع البشري، فهذا التدبر يحصل به التذكر﴿**وليذكر أولوا الألباب**﴾ أي يتيقظ القلب من الغفلة والشهوة، ومن مراعاة غير الله؛ فيستحضر القارئ الدارس خالقه وصلته به وفضله وكرمه ورحمته، ويطمئن إلى أمره ونهيه وقضائه وقدره، وأنه على الحكمة، ويعتبر بمصائر الغابرين، ويستدل بالخلق على المعاد، ويستيقن أن الساعة آتية ووعد الله ووعيده قادم لا محالة...

وهكذا يصفو القلب لله ويتطهر من الشهوات والمعاصي، ويترقى إلى سلم الحكمة ومنزلة العبودية الخالصة لله، وتفصيل المظاهر التنموية للتزكية القرآنية بمنهج التدارس والتدبر على النحو الآتي:

+ تنمية التصورات الإيجابية:

قدمنا أن عناصر التزكية في القرآن الكريم ارتبطت أكثر بجانب بناء التصورات والقيم الروحية والسلوكية في الإنسان، لذا فإن من مظاهر تدارس القرآن وتدبره تنمية وتقوية كل أشكال التصورات والاعتقادات الإيجابية، والتي تبنى عليها كل التصرفات في عالم الإنسان، وهي أهم لبنة في عملية تصفية النفس وتطهيرها من الشرك والمعاصي، ومن"أنا" السلبية وقيودها، والتصور كلما كان أوضح، كلما كان التصرف أفضل. لذا فإن تالي القرآن ودارسه يخزن من خلال تتابع شريط الآيات القرآنية اعتقادا خاصا نابعا من الداخل – القلب بلغة القرآن- عن الله وعن الذات وعن الآخر، وهذا الاعتقاد "يمكن الكيان الداخلي للإنسان من السلام والاتصال بذاته الحقيقية"[1]

أما الاعتقاد الإيجابي عن الله، فيتجسد في تقديم تصور سليم عن الله، ليس فيه خلل ولا تناقض، وليس فيه ظلم أو هضم؛ فهو سبحانه الخالق الواحد، الذي ليس كمثله شيء، المتصف بكل نعوت الجلال والكمال، فليس هو بحجر أصم، ولا نجم قد يهوى، ولا بقرة قد تفنى، وليس هو ثالث ثلاثة قد يدب بينها خلاف على تدبير الأرض والسماوات، وليس هو مختص برعاية شعب مختار، بل هو الإله الواحد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له شريك في الملك والخلق والأمر؛ وهذا الشعور الإيماني الراقي يحدث في القلب هزة روحية تزيد من حب هذه الذات العليا التي

[1]– ينظر: قوة التحكم في الذات/ 88، وكذلك : البرمجة اللغوية العصبية/37.

خلقت وأنعمت، ومن اليقين بأنها المستحقة للعبادة والشكر والتقديس، وهذا في حد ذاته يسكب في نفس المتدبر الشعور الجميل بالاطمئنان والارتياح والسلام، وما يولده من إحسان الظن بالله والتوكل عليه، والثقة بقدرته وحكمة قضائه وقدره، وهذه المشاعر الإيمانية العميقة من شأنها أن تحفزه، وتمده بالقوة اللازمة عند القيام بواجبات عبوديته وتكاليف إيمانه، وعند مواجهة ظروف الحياة وتصاريف الامتحان.

وأما الاعتقاد الإيجابي عن الذات، وهو أقوى أشكال الاعتقادات[1]، فإن القرآن يقدم صورة مشرقة عن الذات الإنسانية، حين يذكرها بانتمائها إلى خلق الله: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق**﴾{العلق:1،2} وبتكريمها بنفخة من روح الله ﴿**ونفخت فيه من روحي**﴾{الحجر:29} وبأنها تمتلك قدرات وإمكانات وطاقات هائلة، كونها خلقت في أحسن تقويم، وأنها من صنع الله الذي أتقن كل شيء خلقه، فإذا عرف الإنسان ذاته حق المعرفة، وعرف مصدرها، وحدد موقعها من الخالق ومن سائر المخلوقات، و"آمن أنها معجزة، وأن لا أحد يشبهها تماما"[2] أمكنه تطهير نفسه من المشاعر الضارة والأحاسيس السلبية؛ كنقص الثقة والكفاءة، والشعور بالذنب والندم والأسى، والشك في القدرة على الإنجاز، والخوف من مواجهة مشكلات الحياة، والنظرة السلبية للآخرين، ومن ثم أمكنه من تنمية المشاعر النفسية الإيمانية، وفي ارتباط بالخالق، من الثقة بالله، وحسن الظن به، والرضا عن الذات، واحترامها وتقدير نعم الله عليها[3]، وتنمية ما فيها من سماحة ونقاء وطيبة وتسامح مع الآخرين[4]، والثقة بقدراتها على الإنجاز، والثقة

---

[1]- يراجع: قوة التحكم في الذات، الفقي، ص: 43، ويؤيد ذلك قول الفقي في موضع آخر، ص: 111: " إن النظرة الذاتية هي المفتاح لشخصية الإنسان".

[2]- كما قال إبراهيم الفقي: البرمجة اللغوية العصبية/156.

[3]- ويعد هذا التقدير أول واجبات العبودية؛ لأن ما في القرآن الكريم من آيات المنة والرحمة تقدير معلن من الله جل جلاله للذات الإنسانية .

[4]- ينظر: قوة التحكم في الذات، الفقي، ص: 75.

بإمكان مضاعفتها لتحقيق الأهداف[1]، والتوقع الإيجابي للأمور إذا واجهتها تحديات[2]، وكل ذلك يندرج في **التزكية الفردية**، أو ما يعرف بالانتصارات الشخصية، التي هي جوهر نمو الشخصية[3].

وأما التصور الإيجابي عن الآخرين، فمبني على التصور السليم عن الله وعن الذات، لأن من يقبل بالله ربا ويحبه ويألهه، يحب ذاته ويتقبلها على حالتها، بمواهبها ونواقصها ونوازعها؛ لأنها من الله، فلا شك أنه سيحب الآخرين ويحترم آدميتهم، ويتقبلهم ويتقبل اختلافهم[4]؛ لأن الاختلاف سنة كونية وآية على قدرة الخالق، كما قال سبحانه: ﴿**ومن آياته خلق السماوات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم**﴾{الروم:22} ووفق هذه السنة الفطرية، سيتكامل ويتعاون معهم على القيام بوظيفة العبودية والاستخلاف، كما أراد الله: ﴿**والمومنون والمومنات بعضهم أولياء بعض**﴾{التوبة:71} والولاية فيها معنى المحبة والتناصر والتعاون على الخير:﴿**وتعاونوا على البر والتقوى**﴾{المائدة:2} ودستور التعاون يمثل النظام الذي يؤطر حركة الطبيعة، ويتوافق مع متطلبات الحياة الإنسانية المادية والمعنوية[5]، وهو من خلق الله وإنعامه، فإذا تنازع الإنسان مع

---

[1]– وهذه الثقة فطرية، وتعتبر طريق الإبداع والنجاح: (ينظر: كيف تتخلص من تصرفاتك السلبية/87، والشخصية المبدعة/40) .

[2]– وهبة التوقع والانتظار أعظم النعم التي منحها المولى للإنسان، بها يتحقق حسن الظن بالله وبتدبيره وعنايته، وبها يحل في داخله الاطمئنان والرضا بقدره وقضائه، والقرآن الكريم نبعه فياض بالآيات التي تنمي التوقع الإيجابي للأمور، بوصفه مسارا فكريا تنمويا إيجابيا، يغير الكثير في تفكير الإنسان وسلوكه نحو الأفضل، وأوضح مثال على ذلك قصص الأنبياء.

[3]– كما عرفها ستيفن آر. كوفي في: العادات السبع للناس الأكثر فعالية، ص: 64، وهذه الانتصارات تسير وفق المنهج الفطري القرآني، "**من الداخل إلى الخارج**"، ومن تحسين الذات إلى تحسين المجتمع.

[4]– وقد ثبت أن الحاجة إلى الحب والانتماء جينية، وأن أكبر حاجة للجنس البشري، بعد البقاء على قيد الحياة، أن تكون مفهوما ومقبولا ومقدرا، وهو الأهم في بناء العلاقات الإنسانية وتحسينها والأهم في السعادة: (يراجع: كن مسؤولا عن حياتك/19، و العادات السبع/285، وكيف تتخلص من تصرفاتك السلبية/ 101) وفي آيات القرآن الكريم تجسيد واضح لهذه الحقيقة، حيث يؤكد كثير منها على أن المؤمن يحب ويتقبل ويقدر، بخلاف الكافر، وفي قصة آدم وإبليس أوضح دليل، إذ تحكي عدم تقبل إبليس لآدم، والذي يعني عدم السماح لآدم بأن يكون ذاته (من طين)، بل صورة منه (من نار)، إرضاء لأنانيته وغروره، المتولد عن الشعور بأنه أكبر منزلة، وأنه مستقل تماما، حتى عن ربه؛ وهو الذي دفع إبليس إلى عصيان الأمر بالسجود، وإشهار عداوته لآدم.

[5]– ويعرف في فن تطوير الشخصية بمبدأ "الاعتماد بالتبادل"، وهو تصور ذهني مفاده "نحن يمكننا أن نتعاون، ويمكننا مزج مهاراتنا وقدراتنا، لنصنع شيئا عظيما لنا جميعا": (يراجع: العادات السبع للناس الأكثر فعالية، ص: 62)

الآخرين في أمر، التمس لهم الأعذار وقدر ظروفهم وأحسن الظن بهم، وأحبهم رغم عيوبهم، ولم يزرع بينهم مشاعر العداوة والبغضاء ليفرق شملهم؛ لأن الله الذي أحبهم يأمرهم بالاعتصام بحبله، ليكونوا جماعة قوية متماسكة، تمكن لدين الله، وتنشر قيم الخير والصلاح والتزكية في أرض الله، بصريح قوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**﴾{آل عمران:103}بهذه المشاعر الإيمانية النبيلة تتطهر نفس قارئ القرآن من المشاعر السلبية والأمراض النفسية والسلوكية المدمرة للعلاقات، والتي تؤدي في الغالب إلى الأمراض الجسدية المزمنة[1]؛ كالبغضاء والحسد، وسوء الظن، واللوم، والشكوى، والشعور بقلة الشأن بين الناس؛ فتنجو بذلك من الإرهاب الداخلي[2] مثل" لماذا لا يتصرف الناس مثلي" أو "لماذا أعطي الناس ولا أحد يعطيني"، و تنجو من الإرهاب الخارجي؛ كالذي يشهده عالمنا اليوم من تصارع وعنف مدمر للعلاقات الأسرية والاجتماعية، ومن قتل وحشي وإرهاب دموي في العالم بأسره، وذلك نتيجة حتمية لجفاف مشاعر التعاطف وغياب القيم الإنسانية والأخلاقية التي يزكي بها القرآن أتباعه.

إن المشاعر الإيمانية، التي يبثها القرآن في النفس، ستدفع المؤمن- في حالة الخلاف- إلى التمييز بين سلوك الآخرين وذواتهم[3]، وتفضيل العفو والصفح على الانتقام، حرصا على الأخوة في الله، وتقبل الآخرين ودعمهم، وفي ارتباط بالله، بدل الاعتداء عليهم ومعاداتهم. وهذا الأثر النفسي والسلوكي، الذي يحدثه القرآن الكريم، يعد نوعا من **التزكية الجماعية** للذات الإسلامية(**الأمة**)، تفيض به آيات القرآن الحكيم، وتتطابق نصوص السنة النبوية على تأكيده، في مثل قوله عليه السلام: (**مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى**)[4] وقوله: (**لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا إخوانا كما أمركم الله الحديث**)[5].

---

[1]– وهذه الأمراض هي أسلوب إبداعي غير مباشر، يتخذه الجسد في حالة المرض النفسي: (كن مسؤولا عن حياتك/218)

[2]– وهو أخطر مستويات التحدث مع الذات، كما ذكر د الفقي:(قوة التحكم في الذات، ص: 25)

[3]– وهو من أهم مهارات التواصل عند تصحيح الخطأ وتوجيه النقد: (ينظر: الطريق نحو التميز، محمد فتحي، ص:120)

[4]– رواه البخاري في الأدب، عن النعمان بن بشير، رقم: 6011.

[5]– رواه مسلم في البر والصلة، عن أبي هريرة، رقم: 2563.

+ تنمية المهارات السلوكية والتواصلية:

إن التزكية التي تحصل من تعلم الكتاب وتعليمه هي عبارة عن تجديد الفهم وتزويد القلب بطاقة الإيمان، وبذلك تنمو شخصية الدارس للقرآن وتتحسن أخلاقه ويترقى تواصله، ولنا في رسول الله الأسوة والقدوة، حيث كان عليه السلام يحرص على تطوير ذاته وتزكيتها بمدارسة القرآن، رغم أنه كان أكثر الناس استقامة وأزكاهم خلقا، حيث كان جبريل – كما في الحديث – يعارضه القرآن كل سنة في كل ليلة من ليالي رمضان، الشهر العظيم الذي أنزل فيه القرآن، وفي المعارضة معنى التشارك والتشاور في تدبر القرآن، وهو فوق القراءة والتفسير، وبذلك تبتدئ التنمية والتحسن في التصور والمعرفة والسلوك، فكان النبي حين ينصرف من مجلس تعليم جبريل – أمين الوحي- أجود بالخير من الريح المرسلة، كما وصفته السيدة عائشة[1]، بمعنى أن قلبه يصفو وتزيد خشيته، ويزداد حرصه على شكر نعم ربه، فيتصدق ويعطي عطاء من لا يخشى الفقر، والصدقة كما مر من أهم أمارات النفس الزكية، وعلى منهج جبريل كان النبي عليه السلام يعلم أصحابه ﴿**الكتاب والحكمة**) وهو الذي يرقى بهم إلى معرفة الكيفية التي ركب بها هذا الدين العظيم، فيجيدون جميع أنواع التفكير المتعارف عليها عند علماء النفس والتنمية[2].

+ تنمية أصول التفكير الفطري:

جهز الله الإنسان بفطرة غير محدودة، قادرة على التفكير والتخيل والإبداع والتصرف بذكاء؛ وتلكم هي القدرة العقلية على التتبع والملاحظة والترتيب والتحليل والاستنتاج؛ وإنما جهزه بذلك ليتدبر أسرار المعاني وغاياتها، في كتاب الله المقروء، ويتفكر في سنن الكون وقوانين الخلق في كتاب الله المنظور؛ فيصل إلى الحكمة التي هي "إصابة الحق بالعلم والعقل"[3]، لذا فإن تدبر القرآن يربي العقل ويبرز قواه الهائلة، وينمي ما أودعه الله في الإنسان من أصول النظر الفكري، وهذا من أهم مظاهر التزكية بالقرآن، ومن ذلك:

---

[1]– تقول : (... **وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ، يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن، فإذا لقيه جبريل، كان أجود بالخير من الريح المرسلة**): رواه البخاري في الصوم، عن عائشة، برقم: 1902.

[2]– تراجع في: كيف تتخلص من تصرفاتك السلبية وتقيم علاقات ناجحة مع الآخرين، يوسف الأقصري/ 109.

[3]– ينظر: مفردات ألفاظ القرآن/ (ح.ك.م).

*** التفكير التأملي:**

التدبر له علاقة بالتأمل، والتفكير التأملي هو "عبارة عن نشاط عقلي هادف لحل ما يواجهه الإنسان من مشكلات" [1] والمتدبر للقرآن يجلس بين يدي القرآن سائلا مستفهما، متأملا لعواقبه على النفس والمجتمع: من أنا؟ ما طبيعتي؟ ما هي وظيفتي؟ ما هو مصيري؟ وحين يتأمل مثلا قوله الله:

﴿**إن ربك لبالمرصاد**﴾{الفجر:14} يراعي عواقبها على نفسه؛ أي ما ينجم عن الرقابة من المحاسبة؛ وينظر إلى آثار هذه المحاسبة على قلبه وعمله، وإلى مرتبته منها؛ هل حاسب نفسه قبل أن يحاسب؟

وحين يتدبر قول الله: ﴿**قد أفلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الآية**﴾{المومنون:1-11} ينظر إلى آثارها على قلبه وعلى عمله، وإلى حظه من تطبيقها أو مخالفتها؛ ثم ينظر فيما يعانيه من توتر وقلق واضطراب في حياته، ويحاول أن يستمد من وصفتها القرآنية بلسما لجراحاته الدنيوية، ويستدرك ما فاته من العمل بها، عسى أن يكون من ورثة الفردوس، وهنا يبدأ الترقي والتنمية.

وإذا هو نظر إلى الرؤية القرآنية لسنة الله ومشيئته في النصر والهزيمة، كيف وقعت وكيف تقع في المجتمعات الإسلامية، وإذا نظر إلى حجم الانكسارات التي يتعرض لها الأفراد والأسر والمؤسسات، وإلى تخاذل الحكومات وتوالي الهزائم، أمكنه أن يزن مجتمعه ويقومه، ويستخلص الحلول لأدوائه، بل وأن يحدد موقعه من سنة الله، ومدى انطباقها عليه أو عدمه؛ لأن "الإنسان هو محصلة ما يعمله لنفسه"[2]، وتصديق ذلك قوله تعالى: ﴿**وما أصابك من سيئة فمن نفسك**﴾{النساء:79}.

وهذا كله من شأنه أن يعمر قلبه بالحقائق الإيمانية والحكم القرآنية ويضعه على مسلك التزكية، أي التخلق بسلوكيات القرآن.

---

[1] – كيف تتخلص من تصرفاتك السلبية، يوسف الأقصري: 87.

[2] – البرمجة اللغوية العصبية/33.

*** التفكير الاستقرائي:**

الاستقراء هو تتبع الجزيئات لتحصيل مفهوم كلي بحسب قواعد المنطق – بلغة المناطقة- وبلغة علماء النفس "هو الوصول إلى نتيجة عامة بعد ملاحظة سلسلة من الحقائق التي لها علاقة بالنتيجة"[1]. والغوص في القرآن وتتبع النظم الفريد لحقائقه؛ يرشدك إلى الحكم والمعاني الجامعة، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿**ويعلمهم الكتاب والحكمة**﴾ فالحكمة التي ارتبطت بالتزكية ليست هي المعلومات الناتجة عن التعليم، ولكن هي أصل العلم والمعرفة؛ إنها معرفة كيفية نظم أمور الدين لتحقيق أهدافه والتخلق بأحكامه[2].

ولاشك أن القرآن أثبت أنه عقد فريد من المعاني المترابطة، لا عوج فيه ولا فطور ولا اختلاف: ﴿**ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا**﴾{النساء:82}ترى ذلك على مستوى الجملة ﴿**إياك نعبد**﴾{الفاتحة:5} وعلى مستوى الآية: ﴿**وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه**﴾ {هود:123}وعلى مستوى السورة[3]، وعلى مستوى القرآن كله[4]، وذلك يؤدي إلى معرفة الدين على غاية الإحكام وبغاية الوضوح، وتلك المعرفة البالغة درجة الإبانة المطلقة هي سبيل التزكية والتنمية.

بإعمال التفكير الاستقرائي، أي تتبع وملاحظة نظام أمور الدين في آيات مختلفة ومتشابهة، تصل إلى معرفة المناسبة بينها، ومن ثم إلى معرفة الحكم والمقاصد من ترتيبها[5]، وذلك يقود إلى التخلق بها؛ فمثلا ذكرت الصلاة مع الزكاة في مواضع عدة: ﴿**قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين**﴾{المدثر: 42-43} ﴿**الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون**﴾ {البقرة:3} وبتتبع هذا النظم نهتدي إلى تشابههما في الدلالة والفعالية، وقد استدل أبو بكر بهذا التلازم على أن أثر ترك الزكاة بأثر ترك الصلاة، فحكم بكفر الذين لم يعطوها، وأيضا بتتبع ارتباط الصلاة

---

[1]– كيف تتخلص من تصرفاتك السلبية، يوسف الأقصري: 86.

[2]– ينظر ما يؤيده في دلائل النظام، الفراهي، ص: 33 ، وكذلك تأمل وتتبع الطريقة التي ركب بها الكون والخلق يرشد إلى حكمة الخلق.

[3]– فالنظم في سورة الحج مثلا يهدي إلى أن المقصد الأعظم من الجهاد هو حماية المقدسات وكل ما في القرآن يؤكد ذلك.

[4]– وبيانه أن نظم القرآن يدل على أن أهم شيء في القرآن أمر الآخرة والقرآن والوحدانية: (يراجع: دلائل النظام/121).

[5]– لهذا قيل: " لاكتساب المعرفة على المرء أن يدرس، ولاكتساب الحكمة عليه أن يلاحظ": البرمجة اللغوية العصبية/ 15.

بالذكر، والنسك، والنهي عن الفحشاء والمنكر، نهتدي إلى الحكمة من فرض الصلاة؛ لأن القرين في اللفظ قرين في المعنى والأثر، وإذا اتضحت لنا الحكمة، كان ذلك دافعا إلى إقامة الصلاة حق إقامتها؛ أي بخشوع قلب وحضور عقل، وحققنا التنمية الروحية والاجتماعية والاقتصادية بهذه العبادة الخالصة، حيث تزيد في داخلنا مشاعر الخشوع والتقوى والعطاء، وتتحقق فيما نقدمه من سلوكيات طيبة، و إذا تتبعنا مثلا الآيات المتجانسة المتناظرة في الأمر الواحد والمتفرقة في مواضع من القرآن الكريم[1]، نزداد علما بحكمة القرآن الكريم، ونزداد خشية ومن تم نتزكى[2]، ومثل هذا في القصص، فالعقل يتتبع النظائر، فيتصور ما لم يذكر، وهذا من شأنه أن يربي الإنسان على التفكير والنظر والأخلاق؛ أي الحكمة، وهي – كما أكد علماء النفس- أسمى وأعمق مراتب المعرفة والبصيرة والفهم والنمو الذهني والروحي والعاطفي[3] فاستقراء آيات القرآن ينمي في الإنسان التفكير الاستقرائي، وهذا ينمي لديه المعرفة بنظام القرآن، ونظامه يوصلك إلى معرفة حكمه ومقاصده، وإلى رد آياته إلى الوحدة؛ فيزداد القلب خشية، ويعمر بالإيمان الصادق بالآخرة، ويجد نورا لإبصار آيات القرآن، ويكون على نور عند احتمال التأويلات، وتلك هي التنمية بالتقوى، أي الزيادة في العلم والعمل التي أشارت إليها الآية: ﴿**واتقوا الله ويعلمكم الله**﴾{البقرة:282}، ولهذا فسرت الحكمة بأنها "شيء يجعله الله في القلب ينور له به"[4]، ولا يكشف القرآن للإنسان أسراره وأنواره ويكون على نور عند اختلاف الأنظار، إلا حسب ما تدبر وتفكر واستقرأ؛ لأنه كلما تدبر ما وجد شيئا خلاف الأول ولكن زيادة[5]، وبالزيادة في الفهم تكون الزيادة في العلم والحكمة، وبهما تتحقق التنمية المنشودة.

---

[1]– كما فعل الفراهي في دلائل النظام/29. والتناظر يناظر ما يعرف بالتكرار، وهو يجعل الذاكرة تحتفظ بالمعلومة بصورة أفضل، وقد عده خبراء التنمية أساس المهارات: (ينظر: كيف تتخلص من النسيان وضعف الذاكرة، يوسف الأقصري/24، وقوة التحكم في الذات، الفقي/35).

[2]– دل على ذلك تفسير التزكي بالتقوى: (ينظر : دلائل النظام/108)

[3]– يراجع: كيف تتخلص من تصرفاتك السلبية/108.

[4]– نقله الطبري قولا لابن زيد: (تفسير الطبري: آية البقرة:129). وهذا المعنى يلتقي مع ما أكده علماء النفس والاجتماع من أن الحكمة ليست منزلة تدرك، وإنما هي حالة تستدعي من داخل أعماق الانسان ذاته، ويعد اكتشافها بمثابة الانتقال من الظلام إلى النور: (يراجع: كيف تتخلص من تصرفاتك السلبية/108).

[5]– يؤيد ذلك ما في: دلائل النظام/42-43.

***التفكير التصويري والتخييلي:**

من بين المواهب التي تجعل الإنسان مخلوقا متفردا عن غيره من المخلوقات امتلاكه للخيال، وهو المقدرة على تصور أشياء لا يمكن حدوثها في واقعنا الحالي[1] ومن المؤكد أن تأمل الصور وتخيلها حافز قوي لتثبيت المفاهيم والحقائق والتفاعل معها على مستوى التنفيذ، ولهذا قيل: " التخيل أهم من المعرفة"[2] "والمخيلة هي الخطوة الأولى على طريق الإبداع"[3] والإنسان حين يتدبر القرآن، وخاصة في بياناته الكونية والغيبية، فيتأمل مثلا الصور التي يعرضها الحق على صفحة الكون المنظور الواسع، أو ضمن شريط أحداث الغيب المطوية عن نظرنا وحسنا، سواء تعلق الأمر بغيب الماضي أو غيب المستقبل؛ حين ينظر إليها نظرة الاهتمام، ويلاحظها ملاحظة دقيقة، المرة تلو المرة، كما أمر الله:﴿**ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا وهو حسير**﴾{الملك:4} فإنه بذلك يدرب ذاكرته على تخزين الأشياء وأماكنها واستردادها كما رآها، دون تشويه أو تشويش[4]، وهذا يساعد بقوة على تثبيت المفاهيم والحقائق الإيمانية المغيبة، هذه المفاهيم التي ارتبطت في نظم القرآن الفريد بمشاهد الكون، في بعدها الوظيفي والجمالي، كما في قوله سبحانه: ﴿**فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى**﴾{الروم: 50} فصورة الأرض المخضرة بالماء الذي هو أثر الرحمة الإلهية الواسعة تحفز الذاكرة التصويرية، فيستجيب الإنسان لتثبيت الحقيقة الغيبية وقبولها بيسر، وهي قدرة الله على بعث الخلائق يوم القيامة وحسابهم، وهذا اليقين الصادق بالآخرة هو الذي يدفعه إلى العمل على تزكية نفسه ووقايتها من غضب الله وعذابه يوم الحساب.

وحين توجه الآية الكريمة نظر الإنسان إلى ملاحظة كيفية الخلق، في مثل قوله تعالى: ﴿**أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت الآيات**﴾{الغاشية:17-20} فإنها تساعده

---

[1]- يراجع: العادات السبع للناس الأكثر فعالية/86-87، وهو ما يؤكد قدرة الإنسان مثلا على التفاعل مع ما يصوره القرآن من أحداث غيب الآخرة.

[2]- المفاتيح العشرة للنجاح، الفقي/73.

[3]- البرمجة اللغوية العصبية/ 148.

[4]- وهذه الحقيقة يؤكدها خبراء الذاكرة والأعصاب، حيث يقول أحدهم:" كلما كان تخيلك دقيقا كان تذكرك للأشياء أفضل": (كيف تتخلص من النسيان وضعف الذاكرة/46).

على تنمية إدراكه البصري، باعتباره الأهم في تحسين الذاكرة[1] وتسوقه إلى النظر بعناية إلى حكمة الخلق، فيدرك أنه على وفق المصلحة والعلم، وأن لكل مخلوق وظيفة، وهذه الوظيفة لها علاقة بالإنسان وبمصالحه، فيتعلم الحكمة؛ أي الكيفية التي صنع الله بها ما صنع من معجزات، ويتيقن بوجوده وربوبيته وعنايته، وهذا اليقين الداخلي يدفعه إلى تنمية ذاته بالعمل الصالح والخلق الطيب، استعدادا للقائه في حياة سعيدة دائمة.

وأيضا حين يتدبر الأساليب التصويرية للإخبارات الماضية والمستقبلية، مثل هلاك الغابرين، وأهوال القيامة، ومشاهد الحساب، يدرب عقله على التفكير التخييلي التصويري، فيتخيل –مثلا- مشهد الطوفان وسفينة نوح يتقاذفها الموج من كل مكان، حين يقرأ قوله تعالى: ﴿**إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية**﴾ {الحاقة:11}، وحين يتدبر أسلوب البناء للمجهول في الآية الكريمة:13 ﴿**فإذا نفخ في الصور**﴾ وأسلوب المطاوعة في قوله: ﴿**إذا السماء انشقت**﴾{الانشقاق:1} وصيغة الماضي في قوله:﴿**ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه**﴾{ الحاقة:28-29} ؛ ويفهم ما تكتنزه هذه الأساليب من دلالة على تحقق وقوع تلك الأحداث الرهيبة، وكأنها مضت وانقضت، يتيقن حينئذ أن أمر القيامة واقع ليس له دافع، بل إن الهدف من تقريب غيب الآخرة، وبخاصة غيب الجزاء، بتخييله وتصويره، بما نعرفه في الدنيا من متاع أو عذاب؛ بث اليقين في القلب والعقل بوقوعه وتحقق أحداثه المهولة، وهذا اليقين هو الذي يدفع إلى التزكية، وقد قرر خبراء التنمية أن "التخيل بداية النجاح والتميز"[2]، ونحن نقول، بل هو أساس التزكية، لأن تخيل اليوم الآخر بدرجة اليقين الصادق هو جوهر التزكية، والحافز الحقيقي على الإنجاز.

ولهذا كان الصحابة يجدون حقيقة الإيمان في داخلهم بتخيل الجنة والنار وعرش الرب القهار، فيقول الرسول عليه السلام لحارثة، بعد أن قص عليه رؤياه: (**عرفت فالزم**) [3] ويقصد المعرفة الحقة التي تحرك إلى لزوم أمر الله والاستقامة عليه، حتى يأتي موعد الرجوع إليه للمحاسبة.

---

[1]– كيف تتخلص من النسيان وضعف الذاكرة/47.

[2]– وهو المفهوم مما جاء في المفاتيح العشرة للنجاح/ 73.

[3]– مجمع الزوائد، الهيثمي، عن الحارث بن مالك الأنصاري: 62/1.

***التفكير الإبداعي:**

يقول أحد علماء النفس: "جميع البشر يتمتعون بقدرات إبداعية فائقة"[1] والتفكير الإبداعي يحتاج إلى قناعة شخصية بامتلاك الموهبة[2]، وذاكرة قوية مدربة[3]، وإلى حالة مزاجية جيدة[4]، وتخيل قوي يحرر العقل ويحول المستحيل إلى ممكن[5]، والقرآن الكريم يدعم كل ذلك وينميه؛ حيث يؤهل الاستماع إليه وتدبره الإنسان للاسترخاء والانتشاء[6] والتغذي بغذاء الروح والعقل، والتمتع بصفاء الذهن والهدوء النفسي، والكفاءة العقلية والشعورية العالية، وبذلك يحصل على تركيز أقوى، وعقل يقظ أوعى، وتفكير إيجابي أعمق، في نفسه وفيمن حوله، ويصبح مستعدا لابتكار الأفكار الإبداعية، التي تطور الشخصية الإنسانية، وترتقي بالفكر الإنساني، وتخدم البشرية. ولا شك أنه بفضل التأمل في طبيعة الكون والمخلوقات، وفي أهداف خلقها ووظائفها وحركاتها، والتي يصورها القرآن الكريم بكاميراته الخاصة، كأحسن ما يكون التصوير؛ استطاع الإنسان أن يخترع الطائرة والغواصة والمروحية... وهذا الاختراع كان نتيجة استخدام الإنسان لقدرته على التركيز والملاحظة، والتنسيق الذهني، والمرونة الذهنية، والتصور الإبداعي، وبذل الجهد والمثابرة والعمل الدؤوب، وكلها مهارات عقلية وفكرية وعاطفية ينميها القرآن الكريم.

---

[1]- يراجع: كن مسؤولا عن حياتك، ويليام جلاسر، ص:61.

[2]- الشخصية المبدعة، الأقصري، ص: 107.

[3]- المرجع نفسه، ص: 77.

[4]- ينظر: الذكاء العاطفي، دانيال كولمان، مكتبة جرير، السعودية، ط2015/1، ص: 126.

[5]- المفاتيح العشرة للنجاح، الفقي، ص: 80.

[6]- ثبت علميا أن خلايا المخ تكون سعيدة، ولا تتناقص إذا خصصت 3 ساعات يوميا لقراءة القرآن الكريم: (الشخصية المبدعة، يوسف الأقصري/65، كما ثبت أن المزاج الجيد هو الحالة المثلى للإبداع، في حين أن المزاج السيء يؤدي إلى التفكير الخاطيء: (يراجع: الذكاء العاطفي، ص: 124-126، و كذا الشخصية المبدعة، ص: 67)

خاتمة: خلاصات واقتراحات

في ختام هذه القراءة المتواضعة لمفهوم التزكية في ضوء معارف الوحي القرآني ومعطيات التنمية الذاتية، نخلص إلى أهم نتائج البحث ونلخصها فيما يلي:

* إن التنمية الذاتية الغربية، وإن اقتربت في بعض مفاهيمها ومعارفها وتوجهاتها من التنمية البشرية القرآنية، فإنها ما فتئت تكرس مفهوم تطوير القدرة البشرية، والانتفاع به في الارتقاء بمنحنيات النمو الاقتصادي، وتحقيق النجاح الدنيوي، الشخصي والمهني، على حساب النمو الروحي والأخلاقي والاجتماعي، والنجاح الأخروي.

* يعد مصطلح التزكية من أهم مصطلحات القرآن التنموية، التي تكتنز دلالات أكبر دقة وشمولية وتجاوزية من مصطلح التنمية الذاتية الوافد، حيث يعبر عن عملية ترقية الإنسان وإصلاحه بالإيمان والعمل الأخلاقي، في جميع مجالات الحياة.

* دل ارتباط التزكية بالمعارف والحكمة القرآنية على أن الممارسة الفعلية لهذه المعرفة هي الكفيلة بأن تحول قيم القرآن وأخلاقياته إلى ركائز داعمة لطبيعتنا الفطرية، ومطورة لحياتنا الشخصية وعلاقاتنا الاجتماعية.

* إن من أهم وسائل التزكية القرآنية: الإيمان والصلاة والصبر والصدقة، وترك الفواحش واتباع سبل الشيطان، والتخلق بالتقوى في العلاقة الزوجية، وفي كل شؤون الحياة.

* كشف تحليل مفهوم التزكية وأهدافها في القرآن الكريم عن بعض خيوط الترابط بين دلالات هذا المفهوم القرآني والجهود الصائبة للخبراء والمتخصصين في علم النفس وتنمية الشخصية والتطوير الإداري.

وتأسيسا على ما تبين من نتائج، نسوق بعض المقترحات المستقبلية لتفعيل التزكية القرآنية، كالآتي:

* تأهيل مؤسسات التنشئة الاجتماعية والدينية(الأسرة، المدرسة، المسجد، جمعيات المجتمع المدني...) لاستعادة دورها المركزي في تنمية الشخصية الإسلامية الوسطية، والارتقاء بجوانبها الإيمانية والروحية، باعتبارها الأهم في دفع غوائل التطرف والتعصب ونوازع الشهوات

والأهواء، وتحطيم جاذبية المال والتملك والمظهرية الفارغة، وفي رفع مستوى الطاقة الروحية إلى درجة التضحية والبذل السخي، وهو الأكثر تأثيرا في التوازن والسعادة.

* ضرورة تطوير طرق التدريس في كل أسلاك التعليم، من خلال دمج **المعارف الصحيحة** للتنمية الذاتية في تدريس العلوم التي تعد أساس الأنشطة التنموية، ضمن مقررات العلوم الاقتصادية والإدارية والإنسانية عامة، والعلوم الشرعية خاصة، والعلوم القرآنية والحديثية بصفة أخص؛ وذلك من أجل الرفع من مستوى تفاعل الأجيال المسلمة مع المعرفة البانية للإنسان، وتفعيلها في واقعهم الفكري والنفسي والاجتماعي؛ لتغيير أنفسهم نحو الأفضل، وشحذ قدراتهم على مواجهة المشكلات والتحديات، التي تحبطهم وتعوق نهوضهم بأعباء التقدم المنشود.

* استنهاض همم طلاب الدراسات العليا، على مستوى الماجستير والدكتوراه، إلى إنجاز دراسات نظرية وتطبيقية في التنمية البشرية، وتشكيلها في الإطار الإسلامي، وذلك من خلال وصلهم بمعطيات هذا الفن في السياق التداولي الغربي، وتحسيسهم، ضمن الدورات العلمية والعملية، بضرورة فهم نظرياته وتوجهاته الصحيحة و نقد توجهاته المنحرفة، وإعادة بنائها بشكل متناغم متكامل.

* إنشاء مراكز بحوث ودراسات، تعنى بتأصيل معارف التنمية الذاتية الوافدة، انطلاقا من دراسة نسيجها المصطلحي من منظور إيماني، مستمد من كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام؛ كي تغدو تنمية الشخصية الإسلامية قرآنية الرؤية والهدف، وقرآنية المفردات، وقرآنية التدريب والتطوير، بما يخدم تنمية الإنسان وسعادته في كل مجالات الحياة المختلفة، الروحية والمادية، الثقافية والعمرانية...

* توصية كل مسلم يواجه عوامل التفسخ والتحلل الأخلاقي، ويخطط لتنمية مجتمعه وأمته، بصرف همته وكدحه إلى :

+ دعم الصفات الخلقية النفسية، والتدريب على ترسيخها في الذات بشكل مستمر، وأهمها: الإخلاص، والصبر، والصدق، والأمانة، والأخوة...

+ الالتزام بالواجبات الدينية والتقربات الروحية، التي تقوي الجانب الإيماني والروحي في الإنسان، وبخاصة الصلاة والدعاء، والذكر، والاستغفار، والصدقة...

+ تطهير النفس من الفواحش ورذائل الأخلاق؛ كالزنا والخنا ...

+ التمسك بحدود الإسلام في المعاشرة الزوجية وتربية الأبناء، تحصينا للأسرة والمجتمع من التشرذم والتحلل الأخلاقي والاجتماعي.

+ التعاون والتواصل في مجال البر والتقوى ونبذ التباغض والتحاسد والتدابر...

وأخيرا وليس آخرا: **تلاوة القرآن الكريم وتجديد فهمه والعمل بأخلاقياته**، لأنه أساس كل خير وصلاح وتنمية.

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات

لائحة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
* الإسلام والتنمية، إبراهيم أبا محمد، منشورات وزارة الأوقاف المغربية، الرباط، ط2008/1.
* البرمجة اللغوية العصبية وفن الاتصال اللامحدود، إبراهيم الفقي، دار اليقين، مصر، ط2008/1.
* تاج العروس من جواهر القاموس, الزبيدي, تحقيق: إبراهيم الترزي, دار التراث العربي, 1972.
* التحرير والتنوير, الطاهر بن عاشور, الدار التونسية, , ودار سحنون, 1984.
* تفسير القرآن العظيم, ابن كثير, دار الجيل, بيروت, ط: 1988/1.
* تفسير المراغي، أحمد مصطفى المراغي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1998/1.
* تنمية الشخصية، عبد الكريم بكار، دار الفكر، دمشق، ط1/ 2007.
* جامع البيان عن تأويل آي القرآن, الطبري, دار الفكر, 1984.
* الطريق إلى التميز، كيف تصنع من نفسك قائدا ناجحا، محمد فتحي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، مصر، 2000.
* سحر القيادة، د. إبراهيم الفقي، دار اليقين، مصر، ط2008/1.
* دلائل النظام, عبد الحميد الفراهي الهندي, المطبعة الحميدية, ط: 1388/1.
* الشخصية المبدعة، كيف تصبح مبدعا في تفكيرك، يوسف الأقصري، دار اللطائف، مصر، ط2001/1.
* صحيح البخاري, المكتبة العصرية, بيروت, ط: 3/ 1999.

* صحيح سنن ابن ماجة, ناصر الدين الألباني, مكتبة المعارف, الرياض, ط: 1997/1.
* صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت.
* العادات السبع للناس الأكثر فعالية، ستيفن آر. كوفي، مكتبة جرير، ط2014/1.
* قوة التحكم في الذات، إبراهيم الفقي، **المركز الكندي للبرمجة اللغوية العصبية، كندا، 2000.**
* اكتشاف الذات دليل التميز الشخصي، د عبد الكريم بكار، دار وجوه، السعودية، ط1431/4هـ.
* كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم, محمد علي التهانوي, تحقيق: علي حروج, مكتبة لبنان.
* كن مسؤولا عن حياتك، ويليام جلاسر، دار الراية، 2013.
* كيف تتخلص من النسيان وضعف الذاكرة، يوسف الأقصري، دار اللطائف، مصر، ط2002/1.
* كيف تتخلص من تصرفاتك السلبية وتقيم علاقات ناجحة مع الآخرين، يوسف الأقصري،دار اللطائف، مصر، ط2002/1.
* مدخل إلى التنمية المتكاملة، رؤية إسلامية؛ عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق، ط2011/4.
* المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، ط1979/4.
* المصطلحات الأربعة في القرآن، تعريب محمد كاظم سباق, دار العروبة للدعوة الإسلامية, لاهور, 1955.
* المفردات في غريب القرآن, الراغب الأصفهاني, تحقيق: محمد سيد كيلاني, دار المعرفة, بيروت, د.ت.
* المفاتيح العشرة للنجاح، إبراهيم الفقي، المركز الكندي للتنمية البشرية، كندا، 1999.
* مقاييس اللغة, أحمد بن فارس, تحقيق: عبد السلام هارون, دار الفكر, 1979.
* الله والإنسان في القرآن، علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم، توشيهيكو إيزوتسو، ترجمة هلال محمد الجهاد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2007/1.
* لسان العرب, ابن منظور الإفريقي, دار صادر, د.ت.

المجلات

* Le développement humain, sources, itinéraire et mesure du concept : lahsen Abdelmalki, Patrick mundler, informations et commentaires, n°100, juil-sept-1997

* عن التنمية البشرية بالمغرب: أزمة المفهوم، تأزم الرؤية، يحيى اليحياوي، مجلة وجهة نظر، عدد 29، صيف 2006.

* الحكامة الاجتماعية والمبادرة الوطنية للتنمية البشرية، حسنة كجي، المجلة المغربية للإدارة المحلية والتنمية، عدد 83، دجنبر 2008.